رمضان

حسن عبد الوهاب

الكتاب: رمضان

الكاتب: حسن عبد الوهاب

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

عبد الوهاب ، حسن
رمضان / حسن عبد الوهاب
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٠٢ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٥ – ٠٥٠ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٦٢٠ / ٢٠٢٠

رمضان

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ".

(قرآن كريم)

مقدمة

شهر رمضان

لم يكن لشهر رمضان ميزة سوى بدء نزول القرآن فيه لكفاه فخراً وتكريماً وتفضيلاً على بقية الشهور، فما بالك وفيه ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر.

قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون".

في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

الصيام جُنَّة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله عز وجل يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها.

والصوم أحد أركان الإسلام. يهذب النفوس ويسمو بالأرواح ويصفي النفوس من زخرف الدنيا وشهواتها.

وهو شهر الصيام والقيام والإطعام والتسبيح والتراويح والمروءة والفتوة، وقيل بأن رمضان في الأيام كالنبي صلى الله عليه وسلم في الأنام.

العناية بشهر رمضان

وقد عنى به المسلمون في سائر الأقطار، وأحاطوه بأنواع التكريم، وأحيوه بصنوف العبادة، وأغدقوا فيه الخير على الفقراء والمعوزين.

ولمصر عناية بتكريم هذا الشهر وخاصة في الدولة الفاطمية التي كانت أيام حكمها مواسم وأعياداً.

وعجبت للقضاعي وهو ممن أدرك العصر الفاطمي في أوج مجده ورأى بنفسه عظمة الحفاوة بهذا الشهر في مصر – يعد رمضان بمكة من عجائب الإسلام في جملته المأثورة "عجائب الإسلام أربعة:– عرض الخيل بمصر، ورمضان بمكة، والعيد بطرسوس، والجمعة في بغداد" ولكن إذا عرف السبب بطل العجب. فالقاضي أبو عبد الله مُحَمَّد بن سلامة القضاعي كان إماماً في الفقه والحديث فاستهواه جلال رمضان في الحرم المكي، فقد كانت تحيى لياليه بتلاوة القرآن والصلوات، ويجتمع فيه أهل مكة فلا يبقى فيه زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ أو مصلٍّ، فيرتج المسجد لأصوات القراء من كل ناحية، وقد حضر رمضان في الحرم المكي الرحالة ابن جبير في سنة ٥٧٩هـ ١١٨٣م ووصفه

بقوله: "حينما استهل هلال رمضان وقع الاحتفال في المسجد الحرام بهذا الشهر المبارك، وقد جددت الحصر وكثر الشمع والمشاعيل، وغير ذلك من آلات الإضاءة، حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياءً.

ومنذ اليوم الأول تتفرق الأئمة لإقامة التراويح فرقاً: فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت إماماً لها في ناحية من نواحي المسجد، والحنبلية كذلك، والحنفية كذلك، والزيدية. وأما المالكية فاجتمعت على ثلاثة قرَّاء يتناوبون القراءة. وهي في هذا العام أحفل جمعاً، وأكثر شمعاً؛ لأن جماعة من التجار المالكين تنافسوا في ذلك فجلبوا لإمام الكعبة شمعاً كثيراً، من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب فيهما قنطار. وقد حفت بهما شمع دونهما صغار وكبار. فجاءت جهة المالكية تروق حسناً وتأخذ بالأبصار نوراً، وكاد لا يبقى في المسجد زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعة خلفه، فيرتجّ المسجد لأصوات القراء من كل ناحية، فتعاين الأبصار وتشنف الأسماع بما تخشع له النفوس خشية ورقَّة. ومن الغرباء من اقتصر على الطواف والصلاة في الحجر، ولم يحضر التراويح. ورأى أن ذلك أفضل ما يغتنم.

والشافعي في التراويح أكثر الأئمة اجتهاداً. ذلك أنه يكمل

التراويح المعتادة التي هي عشر تسليمات ويدخل الطواف مع جماعة فإذا فرغ من الطواف عاد لإقامة تراويح أخرى وضرب بالفرقعة[1] الخطيبيَّة ضربة يسمعها من في المسجد، لعلو صوتها، كأنها إيذان بالعَود إلى الصلاة، فإذا فرغوا من تسليمتين عادوا إلى الطواف، فإذا أكملوه ضربت الفرقعة وعادوا لصلاة تسليمتين، ثم عادوا للطواف هكذا إلى أن يفرغوا من عشر تسليمات، فيكمل لهم عشرون ركعة، ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون، وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئاً، والمتناوبون لهذه التراويح المقامية خمسة أئمة: أولهم إمام الفريضة، وأوسطهم صاحبنا الفقيه الزاهد الورِع أبو جعفر بن علي الفنكيِّ القرطبي، وقراءته ترق الجماد خشوعاً.

والفرقعة تستعمل في هذا الشهر المبارك، وذلك أنه يُضرب بها ثلاث ضربات، عند الفراغ من أذان المغرب. ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء الآخرة.

والمؤذن الزمزمي يتولى التسحير في الصومعة التي في الركن الشرقي من المسجد بسبب قربها من دار الأمير، فيقوم في وقت

---

[1] الفرقعة – هي عود في طرفه جلد رقيق مفتول يمسكه أحد القومة بالحرم وينفضه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمع في أنحاء الحرم فيكون إعلاماً بخروج الخطيب.

السحور فيها داعياً ومذكِّراً ومحّرضاً على السحور، ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه، وقد نصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة في رأسها عود كالذراع، وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان يوقدان مدة التسحير. فإذا قرب ميعاد الإمساك والتنبيه عليه مرة بعد مرة حط المؤذن المذكور القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ بالآذان وثوّب المؤذنون من كل ناحية بالأذان، وفي ديار مكة الدور مرتفعة، فمن لم يسمع نداء التسحير ممن يبعد مسكنه من المسجد يبصر القنديلين يوقدان في أعلى الصومعة، فإذا لم يبصرهما علم أن الوقت قد انقطع.

وكل وتر من الليالي العشر الأواخر يختم فيها القرآن، فأولها ليلة إحدى وعشرين، ختم فيها أحد أبناء أهل مكة وحضر الختمة القاضي وجماعة من الأشياخ، فلما فرغوا منها قام الصبي فيهم خطيباً. ثم استدعاهم أبو الصبي المذكور إلى منزله إلى طعام وحلوى قد أعدهما واحتفل فيهما، ثم بعد ذلك ليلة ثلاث وعشرين، وكان المختتم فيها أحد أبناء المكيّين ذوي اليسار غلاماً لم يبلغ سنه الخمس عشرة سنة فاحتفل أبوه لهذه الليلة احتفالاً بديعاً، وذلك أنه أعد له ثُرياً مصنوعة من الشمع مغصنة قد انتظمت فيها أنواع

الفواكه الرطبة واليابسة. وأعدَّ لها شمعاً كثيراً ووضع وسط الحرم شبيه المحراب المربع أقيم على قوائم أربعة تدلت منه قناديل مسرجة، وأحاط دائر المحراب بمسامير مدببة الأطراف غرز فيها الشمع، وأوقدت الثريا المغصنة ذات الفواكه. وأمعن في الاحتفاء بهذا الاحتفال. ووضع بمقربة من المحراب مثير مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان، وحضر الإمام الطفل فصلى التراويح وختم وقد ملئ المسجد بالرجال والنساء وهو في محرابه وحوله الشموع، ثم برز من محرابه رافلاً في أفخر ثيابه فاستقبله أحد سدنة المسجد، وأوصله إلى ذروة منبره فاستوى مبتسماً، وأشار على الحاضرين مسلماً. وجلس بين يديه قراء فابتدروا القراءة على لسان واحد، فلما أكملوا عشراً من القرآن قام الخطيب فصدع بخطبته. وبين يديه في درجات المنبر نفر يمسكون الشمع في أيديهم ويرفعون أصواتهم بيارب يا رب عند كل فصل من فصول الخطبة، يكررون ذلك والقراء يبتدرون القراءة في أثناء ذلك فيسكت الخطيب إلى أن يفرغوا، ثم يعود لخطبته مشيراً إلى البيت العتيق عند ورود اسمه، ثم ختمها بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه والدعاء للخليفة ولكل من جرت العادة بالدعاء له، ثم نزل وانقض ذلك الجمع، ثم ذكر أن المعينين من ذلك الجمع كالقاضي وسواه خُصوا بطعام حفيل وحلوى على عادتهم في مثل هذا المجتمع، وكانت لأبي

الخطيب في تلك الليلة نفقة واسعة في جميع ما ذكر.

ثم كانت ليلة خمس وعشرين، فكان المختتم فيها الإمام الحنفي وقد أعد ابناً له لذلك سنه نحو من سن الخطيب الأول المذكور. فكان احتفال الإمام الحنفي لابنه في هذه الليلة عظيماً، أحضر فيه من ثريات الشمع أربعاً مختلفات الصنعة فيها مشجرة مغصنة مثمرة بأنواع الفواكه الرطبة واليابسة "ومنها غير مغصنة، فصففت أمام خطيبه، وتوج الحطيم بخشب وألواح وضعت أعلاه، وجلل ذلك كله سرجاً ومشاعيل وشمعاً. فاستنار الحطيم كله حتى لاح في الهواء كالتاج العظيم من النور، وأحضر الشمع في الشمعدانات النحاسية ووضع الحراب العودي فجلل دائره الأعلى كله شمعاً، وأحدق به الشمع في الشمعدانات فاكتنفته هالات من نور. ونصب المنبر قبالته مجللاً أيضاً على الكسوة الملونة. فختم الصبي المذكور. ثم برز من محرابه إلى منبره في أثواب رائعة المنظر. فصعد منبره وأشار بالسلام على الحاضرين وابتدأ خطبته، وحضر القراء بين يديه على الرسم الأول، وانتهت الحفلة بالوليمة التي يقيمها والده – ثم يقول: "وأي حالة توازي شهود ختم القرآن ليلة سبع وعشرين من رمضان خلف المقام الكريم، وتجاه البيت العظيم، وإنها لنعمة تتضاءل لها النعم، وتضاؤل سائر البقاع للحرم".

وقد جرت العادة أن الاستعداد للاحتفال بهذه الليلة المباركة يكون قبل ذلك بيومين أو ثلاثة، وأقيمت إزاء حطيم إمام الشافعية خشب عظام ظاهرة الارتفاع، موصول بين كل ثلاث منها بأذرع من الأعواد الوثيقة، فاتصل منها صف كاد يمسك نصف الحرم عرضاً، ووصلت بالحطيم المذكور، ثم عرضت بينها ألواح طوال مدت على الأذرع المذكورة، وعلت طبقة منها طبقة أخرى حتى استكملت ثلاث طبقات، فكانت الطبقة العليا منها خشباً مستطيلة مغروزة كلها مسامير محددة الأطراف لاصقاً بعضها ببعض نصب عليها الشمع. والطبقتان تحتهما ألواح مثقوبة ثقباً متصلاً وضعت فيها زجاجات المصابيح ذوات الأنابيب المنبعثة من أسافلها، وتدلت من جوانب هذه الألواح والخشب ومن جميع الأذرع المذكورة قناديل كبار وصغار، وتخللها أشباه الأطباق المبسوطة من النحاس معلقة في السلاسل (ونفهم من باقي وصفها أنها ثريّا نحاسية كبيرة) هذا عدا إضاءات أخرى في أنحاء الحرم، ما بين ثريات، وشمعدانات نحاسية بها الشمع ما بين كبيرة وصغيرة، فأضاءت الحرم بأضواء ساطعة من الداخل والخارج حتى الشرفات فلا تقع العين إلا على نور. ثم تقدم القاضي فصلى فريضة العشاء الآخرة ثم قام وابتدأ بسورة القدر، وكان أئمة الحرم في الليلة قبلها قد انتهوا في القراءة إليها. وتعطل في تلك الساعة سائر الأئمة من

صلاة التراويح تعظيماً لختمة المقام، وحضروا متبركين بمشاهدتها، فختم القاضي بتسليمتين وقام خطيباً مستقبل المقام والبيت العتيق، ولما فرغ من خطبته عاد الأئمة لإقامة التراويح، وانفض الجمع ونفوسهم قد استطارت خشوعاً. والأنفس قد أشعرت من فضل تلك الليلة المباركة رجاء مبشراً بمنّ الله تعالى بالقبول، ومشعراً أنها ولعلها ليلة القدر المشرف ذكرها.

وفي ليلة ٢٩ اختتم سائر الأئمة التراويح وأضيئت الأنوار بالثريات وشمعدانات الشمع بالرسم السابق ذكره احتفالاً بختام الشهر المبارك.

هذا موجز لوصف ابن جبير لرمضان في مكة، وقد علق المقريزي المؤرخ على رأي القضاعي بقوله: "إن عرض الخيل في مصر كان من عجائب الإسلام الأربع في الدولة الطولونية". وقد ذهبت بهجة الجمعة في بغداد بعد القضاعي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الإسلام من العراق، وبقيت مكة شرفها الله تعالى وليس في شهر رمضان الآن (القرن التاسع الهجري. الخامس عشر الميلادي) بها ما يقال فيه أنه من عجائب الإسلام.

رمضان مصر

يؤثر عن القاضي أبي عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة، الذي ولي قضاء مصر سنة ١٥٥هـ. ٧٧١م أنه أول قاض حضر لنظر الهلال في شهر رمضان، وكان القضاة بعده يخرجون مع الناس إلى جامع محمود بسفح المقطم لرؤية الهلال في رجب وشعبان احتياطياً لشهر رمضان، واستمر القضاة يخرجون لرؤية الهلال. وأعدت لهم دكة عرفت بدكة القضاة على مكان بالجبل مرتفع عن المسجد، وكان قضاة مصر يخرجون إليها لنظر الأهلة إلى أن بني محلها مسجد في العصر الفاطمي، فصاروا يرصدونه من فوق المنارات.

ويؤثر عن أحمد بن طولون أنه زار مسجده وقت بنائه، فرأى الصناع يشتغلون إلى الغروب وكان في شهر رمضان، فقال: "متى يشتري هؤلاء الضعفاء إفطاراً لعيالهم، اصرفوهم العصر". فصارت سنة بمصر. فلما فرغ شهر رمضان قيل له: قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى عادتهم، فقال: "قد بلغني دعاؤهم وقد تبركت به، وليس هذا مما يوفر العمل".

وقد عنيت الدولة الفاطمية بهذا الشهر، واحتفت به احتفاء لم يسبق ولم يلحق، فكانت تحذر بيع المسكرات ابتداء من شهر

رجب، وتعاقب من يبيعها أو يشتريها سراً أو جهراً، وخصته بحفلات يعد بعضها تمهيداً لحلوله، والبعض لإعلان رؤية هلاله، وهي حفلات غنية بمظاهر العظمة، شاملة لأنواع البر والصدقات بما يرفه عن الفقير ويدخل السرور عليه.

فإذا أقبل شهر رمضان عهد إلى قضاة مصر بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد في القاهرة ومصر. فيبدؤون بزيارة جامع المقس ثم بجوا مع القاهرة والمشاهد وجوامع مصر (الفسطاط) ثم بالمشهد الحسيني لتفقد ما تم إجراؤه فيها من إصلاح وفرش وتعليق قناديل.

وأعد الحاكم بأمر الله للجامع الأزهر تنوراً من الفضة و٢٧ قنديلاً، ولجامع راشدة تنوراً و١٢ قنديلاً، واشترط إضاءتها في شهر رمضان. وبعده تُعاد إلى مكان أعد لحفظها فيه. هذا عدا ثمن العود الهندي للبخور والكافور والمسك، الذي يصرف لتلك المساجد في شهر رمضان.

الاحتفال بأول رمضان:

إذا كان أول يوم من شهر رمضان اهتم الخليفة الفاطمي بمهرجان إعلان حلول رمضان، فيخرج متحلياً بملابسه الفخمة من

باب الذهب أحد أبواب القصر الفاطمي الكبير وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة، وخيولهم المطهمة، بسروجها المذهبة، وفي أيديهم الرماح والأسلحة المكفتة بالذهب والفضة، والأعلام الحريرية الملونة، وأمامه الجند تتقدمهم الموسيقى صادحة بأنغام شجية. ويسير في هذا الاحتفال تجار القاهرة من الجوهريين والصيارفة والصاغة والبزازين وغيرهم. وقد تبارى هؤلاء التجار في معالم الزينة المقامة على حوانيتهم، وتفننوا فيها بما يلفت نظر الخليفة. فيسير الموكب من بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح، ثم يدخل باب النصر عائداً إلى باب الذهب، وفي أثناء الطريق توزع الصدقات على الفقراء والمساكين. وحينما يبلغ الخليفة القصر يستقبله المصلون بتلاوة القرآن الكريم في مدخل القصر ودهاليزه حتى يصل إلى خزانة الكسوة الخاصة، فيغير ملابسه ويوزع الدنانير والهدايا، ثم يتوجه لزيارة قبور آبائه حسب عادته. فإذا تم ذلك أمر أن يكتب إلى الولاة والنواب بحلول شهر رمضان بما نصه:

"الحمد لله كالئ خلقه في اليقظة والمنام، والكافل لهم بمضاعفة الأجر في شهر الصيام، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد الذي بعثه رحمة للأنام، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب

أخلص ولي وأشرف وصي وأفضل إمام، وعلى الأئمة من ذريتهما الداعين إلى دار السلام، صلاة دائمة الاتصال مستمرة في الغدو والآصال، وإن من المسرة التي تتهادى والنعمة الشاملة الخلق جميعاً وفرادى، ما من الله به من ظهور مولانا وسيدنا الإمام ... صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين يوم ... غرة شهر رمضان من سنة ... إعلاماً بأول الشهر وافتتاحه، وأن أول الصيام من فجره الأول قبل تنفس صباحه، وتوجهه إلى ظاهر المعزّية القاهرة المحروسة في عساكره المظفرة وجنوده، وأوليائه وأنصاره وعبيده، والمنة برؤيته قد تساوي فيها الكافة، وملائكة الله مطيفة حافة، وعوده إلى قصوره الزاهرة. وقد شمل المستظلين بأفيائه. بسعادة الدنيا والآخرة. أصدر إليك هذا الأمر لتقف على الجملة، وتشكر النعمة السابغة على أهل الملة. وتتلوها على أهل عملك. وتطالع بمكاتبتك في ذلك، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله.

غرة رمضان:

وفي غرة رمضان يهدي الخليفة إلى جميع الأمراء وغيرهم من الموظفين وأولادهم ونسائهم أطباقاً مملوءة بالحلوى. وفي وسط كل طبق صرة بها نقود ذهبية، فيعم هذا الإنعام سائر كبار رجال الدولة.

إحياء ليالي رمضان:

كان في القصر الشرقي الكبير قاعة أطلق عليها قصر الذهب، أنشأها العزيز بالله ثم جددها الخليفة المستنصر بالله، وقد وضع فيها سرير الملك، فكان الخلفاء يتخذونها لجلوسهم وأعدوها لإقامة ولائم الإفطار في شهر رمضان.

وكان يدعى لهذا الولائم ابتداء من اليوم الرابع من الشهر إلى السادس والعشرين منه العلماء والأمراء، فإذا جاء وقت الغروب مدت الموائد في هذه القاعة وحليت بالأزهار، ونسقت عليها أنواع المأكولات والحلوى على هيئة قصور وتماثيل، ويتصدر المائدة الوزير أو ولده أو أخوه. فإذا انتهت المائدة وزعت الأطعمة على الفقراء والمساكين. وربما خص الرجل ما يكفي جماعة من الناس، وقد بلغت نفقات شهر رمضان لمدة ٢٧ يوماً ثلاثة آلاف دينار.

ويؤثر عن الخليفة الفاطمي العزيز بالله، أنه أول من عمل مائدة في شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق (عمرو) وأقام طعاماً في الجامع الأزهر مباحاً لمن يحضر في شهور رجب وشعبان ورمضان، وكان يخرج من مطبخ القصر في شهر رمضان ١١٠٠ قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على المحتاجين والضعفاء.

سحور الخليفة:

بعد أن تنتهي حفلات الإفطار، يجلس الخليفة في شرفة كبيرة إلى وقت السحور لسماع القراء وهم يتلون القرآن ويرتلونه بأصوات جميلة، ثم يحضر المؤذنون للتكبير والتغني بفضائل رمضان مختتمين ذلك بالدعاء للخليفة، ثم يأتي الوعاظ بعد ذلك فيقومون بنصيبهم في ذكر فضائل الشهر ومدح الخليفة، ثم تنصب حلقات الذكر، ويظل الجميع على ذلك حتى منتصف الليل، وهنا يأمر الخليفة بأن توزع عليهم الهدايا والحلوى والقطائف فيأكلون ويحملون منها لأولادهم.

وعند السحور تمد للخليفة مائدة في مكان إفطاره، ويحضر معه جلساؤه وخواصه فيأمر بأن يوزع عليهم مما قدم إليه من طعام وحلوى، ثم يأذن لهم بالانصراف:

صلاة الجمعة في رمضان:

وكان الخليفة الفاطمي يصلي أيام الجمع الثلاث الثانية والثالثة والرابعة من رمضان في مساجد الحاكم والأزهر، ويختمها بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكان يصرف من خزانة التوابل الند وماء الورد والعود برسم بخور الموكب والمسجد، وعقب الصلاة

يذاع بلاغ رسمي (عرف بسجل البشارة)

وكانت تلك المواكب تحاط بأنواع العظمة، ويشترك في الاحتفاء بها، وتسبقها مقدمات فيفرش المسجد بالفرش المختص بالخليفة يحمله كبار الفراشين وهو من الحرير الديبقي، ويعلق على المحراب ستران مرقوم فيهما بالحرير الأحمر بعض قصار السور – على الستر الأيمن سورة الفاتحة وسورة الجمعة، وعلى الأيسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين بخط واضح، ثم يصعد قاضي القضاة وفي يده مبخرة لطيفة فيها ند لا يشم مثله إلا هناك فيبخر ذروة المنبر التي عليها القبة المعدة لجلوس الخليفة للخطابة، ويركب الخليفة في موكب كركبه في أول رمضان، وملابسه بيضاء غير مذهبة توقيراً للصلاة، وحول ركابه عدا الحرس قراء القصر من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة مناوبة من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها وإن احتاج إلى تجديد وضوئه فعل. ويحفظ المقصورة الحرس الخاص من الداخل والخارج. فإذا أذّن للجمعة دخل إليه قاضي القضاة فقال: "السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله"، فيخرج ماشياً وحواليه الأستاذون المحنكون الوزير ووراءه من يليهم من الأمراء والحرس الخاص

وبأيديهم الأسلحة حتى ينتهي إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الذروة تحت القبة المبخرة والوزير على باب المنبر ووجهه إليه. فإذا استوى جالساً أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه فيقبل يديه بحيث يراه الناس. ثم يزر عليه القبة وتصير كالهودج. ثم ينزل مستقبلاً للخليفة ويقف ضابطا المنبر فيخطب خطبة قصيرة تكتب في ديوان الإنشاء، يقرأ فيها آية من القرآن الكريم، ويصلي فيها على النبي ﷺ، وعلى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعظ الناس وعظاً بليغاً موجزاً. ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول: "اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً". ويتوسل بدعوات تليق به، ويدعو للجيوش بالنصر والتآلف، وللعساكر بالظفر. وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك، ثم يختم الخطبة بقوله: "اذكروا الله يذكركم" فيطلع إليه من زرّ عليه القبة فيفك التزرير عنه وينزل القهقري فيدخل الخليفة المحراب ويقف إماماً والوزير وقاضي القضاة صفاً، ومن ورائهما الأمراء وكبار الموظفين، والجامع مشحون بالشعب للصلاة وراءه، فيقرأ في الركعة الأولى ما هو مكتوب في الستر الأيمن للمحراب، وفي الثانية ما في الستر الأيسر، فإذا سمّع الخليفة سمع القاضي المؤذنين فيسمع المؤذنون الناس. فإذا فرغ خرج الناس وعاد الخليفة إلى القصر والوزير وراءه بين عزف الموسيقى وترحيب الشعب.

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ركب إلى الجامع الأزهر بنفس الاحتفال السابق وصفه. فإذا كانت الجمعة الرابعة منه ركب إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص)، وزين له أهل القاهرة من باب النصر إلى الجامع الطولوني ويُزَيّن له أهل مصر من الجامع الطولوني إلى جامع عمرو تحت إشراف والي القاهرة ووالي الفسطاط، ويركب الخليفة من القصر سائراً في الشارع الأعظم حتى يصل إلى الجامع العتيق، فيؤدي صلاة الجمعة طبقاً للمراسيم التي اتبعت في جامع الحاكم، فإذا قضيت الصلاة عاد إلى قصره، وفي خلال ذلك كله لا يمر بمسجد إلا أعطى أهله ديناراً على كثرة المساجد في طريقه.

وعقب كل صلاة يذاع سجل البشارة بركوب الخليفة. وهذه هي السجلات المذكورة بنصوصها التي تذاع وتنشر.

سجل الجمعة الثانية:

أفضل ما سير ذكره، ووجب حمداً لله تعالى عليه وشكره، ما عاد على الشريعة بالجمال والبهجة، وأضحى واصفه صحيح المقال صادق اللهجة، فضاعف حسنه ومحّص سيئه وجعل أسباب السعادة متسهلة متهيئة، وذلك ما يسره الله تعالى من استقلال

ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وسلامه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة ... مؤدياً خطبتها وصلاتها، وضامناً لأمة ائتمت به خلاصها يوم الفزع الأكبر ونجاتها، وفي وقار النبوة وسكينة الرسالة، والهيبة المستولية على العظمة والجلالة، والعساكر الجمّة التي تغلق بمهابتها وتزعج، وتظن لكثرتها واقفة والركاب تهملج، ولما انتهى إليه خطب ووعظ ففتح أبواب التوبة، وآب إلى الطاعات من لم يطمع منه بالأوبة، وصلى صلاة تقبلها جل وعز بقبول حسن وقصر في وصفها ذوو الفصاحة اللسن، وعاد إلى مستقر الخلافة ومثوى الرحمة والرأفة، وعين الله له ملاحظة وملائكته له حافظة. أعلمت ذلك لتذيعه في أهل عملك وتطالع بمكاتبتك.

سجل الجمعة الثالثة:

لم يزل غامر كرم الله وفضله، يفوز حاضره ما كان من قبله، فنعمة الله سابغة، ومنته متتابعة، وملابسها ضافية، ومغارسها نامية، وسحائبها هامية. وهو جل وعز يضاعفها على من صلى وصام، ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصال لها ولا انفصام، ويجدد من ذلك ما كان من بروز مولانا وسيدنا الإمام ... صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين، يوم

الجمعة من شهر رمضان من سنة ... في شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه إلى الجامع الأزهر. وعساكره قد تجاوزت الحد، وكثرت عن الإحصاء والعد، فإذا تأملها الطرف انقلب عنها خاسئاً وارتد! ولما وصل إلى الجامع المذكور خطب فأورد من القول أحسنه. ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه، وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها، وعاد إلى قصوره الشريفة وقد شملت البركات برؤيته، ووفق من عمل بموعظته، ونجا من افتدى به في صلاته، واستولى على السعد من جميع أرجائه وجهاته، أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فاشكر الله سبحانه بمقتضاه. "واعتمد تلاوة هذا الأمر على رؤوس من الأشهاد".

سجل الجمعة الرابعة:

من عوائد الله سبحانه الإحسان إلى عبيده، وتعويضهم الشكر عليه بنموه ومزيده، والامتنان بتيسير عصيّه وتعجيل قصيّه وتقريب بعيده، فهو لا يخليهم من نواجمه، ولا يغنيهم من هواجمه. ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته، وشمول خيراته، أن مولانا وسيدنا الإمام ... صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين، وإلى فيض بركاته، وأزكى أعمال المؤمنين في استماع اختطابه والائتمام بصلاته. وفي هذا اليوم وهو

يوم الجمعة من شهر رمضان أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر ليسهم لهذه المدينة من حظى الدنيا والآخرة مثل ما أسهمه وعجله لأهل المعزية القاهرة، فكانت يُعجز وصفها كل لسان، وظهر عليه السلام في الرداءين: السيف والطيلسان، والجيوش قد انبسطت وانتشرت، والنفوس قد ابتهجت واستبشرت، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت، وعند وصوله خطب فأحسن في الألفاظ والمعاني، وحذر من تأخير التوبة والتضييع فيها والتواني، وصلى صلاة شرفها الله وفضلها، ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها، وانكفأ عائداً إلى قصوره ومنازله المعظمة، ضاعف الله له ثوابه وأجره، وأوجب شكره، ورفع ذكره.

ويجب أن يعتمد إذاعة ذلك ليبالغ الكافة في الاعتراف بالنعمة فيه، ويواصلوا شكر الله تعالى عليه والمطالعة بما اعتمد فيه.

ذكرت هذه السجلات "أو المراسيم" بنصها مع ما فيها لأعطى فكرة عن أسلوب الكتابة في العصر الفاطمي، فقد كانت تكتب في ديوان الإنشاء، ومن اختصاصه تحرير الخطب والرسائل على اختلاف توجيهاتها، والبلاغات الرسمية. وكاتب تلك السجلات هو تاج الرياسة أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي، من رؤساء الكتاب في الدولة الفاطمية.

وقد احتفظت مصر بإقامة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان في جامع عمرو، برغم ما طرأ عليه من تخريب وإهمال يتسابق إليها سكان مصر والقاهرة، وتقام حوله الحفلات والملاهي.

ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع بعد تخريبه، وذلك في النصف الثاني من شهر رمضان سنة ١٢١٢هـ ١٨٩٧م أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان بعد انقطاعها ثلاثين عاماً، فاتخذت عادة حتى أبطلت سنة ١٩٥٤م.

من هذا الاستعراض، نقف على حقيقة منشأ صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان في جامع عمرو، تلك العادة التي كانت تعود على الجامع بالخير، فقد كانت وزارة الأوقاف تعني في تلك المناسبة بإصلاح الجامع ونظافته.

آخر شهر رمضان:

وفي آخر يوم من رمضان يدعو الخليفة إخوته وعمومته المقربين منه لتناول الإفطار على مائدته ويحضر الوزير معهم. هذه هي مظاهر رمضان في الدولة الفاطمية، وقد أحيطت بمظاهر العظمة وتوارثتها الأجيال.

رمضان في دولتيي المماليك:

وبعد الدولة الفاطمية استمرت العناية بالاحتفال برؤية هلال رمضان، فقد كان يخرج قاضي القضاة، والقضاة الأربعة والشهود ومعهم الشموع لرؤية الهلال، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة وتجارها ورؤساء الطوائف والصناعات والشعب، وكانوا يشاهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين، لوقوعها أمام المحكمة الصالحية (مدرسة الصالح نجم الدين). فإذا تحققوا من رؤيته، أضيئت الأنوار على الدكاكين وخرج قاضي القضاة في موكبه تحف به الفوانيس بالشموع والمشاعل حتى يصل إلى داره، ثم تتفرق الطوائف إلى أحيائها معلنين بالصيام.

ولم تكن الأقاليم أقل عناية من العواصم بالاحتفال برؤيا رمضان، فقد شاهد ابن بطوطة الرحالة في سنة ٧٢٧هـ ١٣٢٧م الاحتفال برؤيا رمضان في مدينة أبيار ووصفه بقوله: ".. ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي، وحضرت عنده يوم الركبة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان، وعادتهم فيه أن يجتمع فقراء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان بدار القاضي، ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوافدين. فإذا أتى

أحد الفقهاء أو الأعيان تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه مقدماً إياه قائلاً: "بسم الله سيدنا ... فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في الموضع اللائق به، فإذا تكاملوا هناك، ركب القاضي وركبوا معه وتبعهم جميع من في المدينة من الرجال والنساء والصبيان حتى يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال. فإذا ما رأوه يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب. وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون وهكذا يفعلون كل سنة.

وهكذا بقية البلاد لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرغت نفسها بوحي من دينها لترصد الهلال وليكون لها شرف رؤيته وإلى نهاية دولة المماليك والجراكسة كانت تقام حفلات رؤيا هلال رمضان بعد رؤيته من منارة مدرسة المنصور قلاوون.

ذلك أن في سنة ٩٢٠هـ ١٥١٤م بعد أن حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية، وحضر المحتسب وبعد رؤية الهلال سار المحتسب على رأس موكب كبير تتقدمه المشاعل وتحيط به الشموع والفوانيس، وأضيئت الحوانيت في جميع الشوارع التي سلكها إلى داره ثم تفرقت الجموع معلنين الصيام.

وفي مستهل الشهر يجلس السلطان في الميدان تحت القلعة ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة ثم يستعرض أحمال الدقيق، والخبز والسكر. والغنم والبقر المخصص لصدقات رمضان يعرضها عليه المحتسب بعد أن يكون استعرضها في أنحاء القاهرة تتقدمها الموسيقى فينعم على المحتسب وعلى كبار الموظفين.

واستمرت حفلات الرؤيا يشترك فيها الشعب بطوائفه حينما انتقل إثبات الهلال إلى المحكمة الشرعية. فقد كان يحتفل بها احتفالاً عظيماً، فيخرج موكب الرؤيا من محافظة مصر إلى المحكمة الشرعية تتقدمه الموسيقى والجنود والتجار ومشايخ الحرف بطبولهم حتى إذا ثبت رؤية الهلال تطلب الصواريخ والألعاب النارية، وتطلب المدافع وتضاء المنارات ثم يمر موكب الرؤيا في أنحاء القاهرة معلنا الصيام.

واشتراك مشايخ الحرف في هذا الموكب وفي المواكب الكبيرة كالأفراح وغيرها كانت تمثل فيه التجارات والصناعات على عربات يتبارى أصحابها. كل في إظهار تجارته أو صناعته مثل مواكب الزهور. فهي من قبيل الدعاية، والدعابة وفيها ما يثير الإعجاب، وفيها ما يثير الضحك، وكان الشعب على بكرة أبيه يخرج لمشاهدة هذه المواكب وإلى ثلث قرن مضى كانت تقام حفلة

الرؤيا طبقاً لهذا النظام مع التبسط، ثم تقلص هذا الاحتفال إلى أن أعادت إليه بهجته حكومة الثورة باعتباره من العادات والتقاليد القومية الواجب غرس معالمها وصورها في نفوس الأطفال، لتتعلق بها أذهانهم وتثير فيهم عوامل الشغف بتقاليد بلادهم، فقد أصدرت الأوامر في أواخر شعبان سنة ١٣٧٤ إبريل سنة ١٩٥٥ أن يعاد الاحتفال بموكب الرؤية القديمة على نسق يجمع بين سنة القديم والتطور الذي أدركته مصر في ظل الثورة.

وبتاريخ ٢٢ إبريل سنة ١٩٥٥ نشرت الصحف برنامج الاحتفال كالآتي:

الموكب التقليدي:

ويشمل موكب الرؤية في القاهرة، الموكب الرسمي التقليدي الذي سيبدأ من محافظة القاهرة وتشترك فيه عربات أعدتها المصانع والشركات والمحال التجارية تمثل مختلف الحرف والمهن في مصر.

ويسير موكب الحرف – من مكان التجمع وهو الجمعية الزراعية المصرية – في منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم.

ويبدأ الموكب الرسمي من المحافظة في منتصف الساعة السادسة.

فرق الكشافة والموسيقى:

وتشترك في الموكب الرسمي فرق الكشافة الأهلية، وفرق الموسيقى وعربات تمثل نهضة الكليات والمدارس الصناعية والمصانع المصرية والمحال التجارية الكبرى.

إنتاج المصانع الحربية:

ولأول مرة تشترك المصانع الحربية في إبراز إنتاجها وأعمالها في عربات من تصميمها.

برامج ليلة الرؤية:

وقد أعدت برامج للاحتفال بليلة الرؤية، منها إطلاق الصواريخ من ميدان التحرير مدة ساعة تبدأ في الساعة الثامنة والنصف، كما أعدت اثنتا عشرة فرقة موسيقية للعزف في أهم ميادين العاصمة، وفي كل الأحياء ليلة الرؤية، وأيام ذكرى غزوة بدر، وليلة القدر، وليلة النصف من شهر رمضان، وليالي عيد الفطر، وعهد إلى فرق أخرى بالعزف في عواصم المديريات.

حفلات سحر وتمثيل:

وأعدت وزارتا الشؤون الاجتماعية والتربية والتعليم برنامجاً خاصاً لحفلات سمر وموسيقى وتمثيل تقام ليلة الرؤية وطوال ليالي شهر رمضان.

وتقام في ليلة النصف من رمضان حفلة نيلية تشترك فيها زوارق وبواخر مزينة بالأنوار.

البر باليتامى والفقراء:

وأعدت الترتيبات لمشروع أطلق عليه مشروع "بر رمضان" وقد طبعت ووزعت طوابع لجمع المال من فئات مختلفة. وسيقوم بتوزيعها طلاب المدارس والمؤسسات مدة الأسبوعين الأولين من شهر رمضان، على أن يوزع ما جمع من هذه التبرعات لليتامى والفقراء في الأسبوعين الأخيرين من شهر الصيام.

ندوات للوعظ والإرشاد:

وأعدت إدارة الأزهر الشريف برنامجاً كبيراً للوعظ والإرشاد طول أيام الشهر في أنحاء بلاد الجمهورية.

وقد أرسل الأزهر إلى السادة شيوخ المعاهد كتاباً دورياً

ليسهموا مع علماء المعاهد والوعاظ في إحياء شهر رمضان على نطاق أوسع من ذي قبل.

مقدمات رمضان

كان لشهر رمضان بهجة وجلال، فقد كانت تسبقه مقدمات تبشر بمقدمه الذي كان يبعث على البهجة والانشراح بما كان فيه من بذخ ورخاء وخير وفير، فقد كان نظار الأوقاف منذ شهر شعبان يأخذون في تنفيذ شروط الواقفين على المساجد من تجديد الحصر، ونظافة المساجد وطلائها وما يلزم لزيادة الإضاءة فيها وإعداد القناديل اللازمة لإضاءة المنارات طوال الليل حتى السحور.

وكان سوق الشماعين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين في النحاسين يحتفل بمقدم هذا الشهر، فتعلق على وجهات الحوانيت وعلى جوانبها أنواع الفوانيس المتخذة من الشمع، وأشكال الشموع ما بين كبيرة وصغيرة. ومنها شموع المواكب الكبيرة، ومنها ما يزن عشرة أرطال، ومنها ما يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار، يرسم الركوب لصلاة التراويح والخروج ليلاً، فيمر في شهر رمضان من

ذلك ما يجل عن الوصف، وتستمر حوانيته مفتوحة إلى منتصف الليل لكثرة ما يشترى وما يكترى من الشموع الموكبية.

ومن تلك التقاليد نشأت فوانيس رمضان، فقد كنا ومازلنا نرى في نطاق محدود السمكرية يهتمون منذ شهر شعبان بعمل الفوانيس بأشكال مختلفة، ويزينون بها وجهات حوانيتهم فيفرح بها الأطفال.

وكانت أنواع الياميش تفرش على أبواب البدالين هي وقمر الدين ويعج بها سوق السكرية داخل باب زويلة، فيتسابق الشعب إلى الاغتراف منها. وكانت رخيصة السعر فيتمتع بها الغني والفقير، وتقدم للضيوف، ويوزع منها على أطفال الحارة حينما يطوفون على الدور بفوانيسهم الموقدة محيين أصحابها.

وكانت وكالة قوصون بشارع باب النصر المنشأة حوالي سنة ١٣٤٠م والباقي مدخلها إلى الآن مقر تجار الشام ينزلون فيها ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والفستق والجوز اللوز والخرنوب. وكانت حركة التجارة فيها مدهشة لكثرة ما فيها من أصناف البضائع وحركة البيع والشراء فيها.

ولما تخربت تلك الوكالة، انتقلت تجارة المكسرات إلى وكالة مطبخ العسل بالتمبكشية بالجمالية، وكانت مخصصة لبيع أصناف

النقل كالجوز واللوز ونحوهما.

وكانت أسهم المقرئين ترتفع حيث يكثر العرض عليهم، فقد كان أغنياء مصر والأقاليم يتبارون في تعيين مجيدي القراءة لتلاوة القرآن الكريم في دورهم طوال شهر رمضان. وكانت الأحياء تضاء وتتجاوب فيها أصوات القراء.

ومن مشاهير القراء من كان أثيراً لدى بعض الأغنياء يحي عنده ليالي رمضان. وكانت دورهم مفتحة طول الليل تستقبل الوافدين عليها لسماع القرآن مع تقديم القهوة أو القرفة شتاء، والمرطبات صيفاً.

وكان لهذا الشهر حرمة مقدسة يصومه الرجال والنساء والأطفال، وتشجع المدارس الأطفال على الصيام وتؤنب المفطرين. والويل كل الويل للمفطرين من الحكومة أولاً فقد كان المحتسب يحاسب المفطر بعد أن يسأله عن سبب إفطاره لاحتمال أن يكون مريضاً أو مسافراً، فإن أثبت شيئاً مما يبيح له الإفطار عذره للجهر به. وإن كان مفطراً لغير سبب أدّبه. هذا عدا ما يلاقيه من استهزاء الأطفال والمناداة عليه "يا فاطر رمضان يا خاسر دينك ... "

كما كانت الحكومة تعاقب المفطرين من موظفيها بغير عذر شرعي.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي كانت دوائر الحكومة تستنجز الأعمال الجاري تشغيلها لصرف قيمتها قبل حلول شهر رمضان.

وكانت دواوين الحكومة تعطل فيه عدا ديواني الخارجية والضبطية. والجمرك ليتفرغ المستخدمون فيه للعبادة بشرط إنجاز جميع ما لديهم من مواد متأخرة، وتصدر الأوامر بذلك منذ منتصف شهر شعبان، وعلى أن لا يعطل من الدواوين إلا من أنجز جميع أعماله.

وأصدر محافظ القاهرة أمراً في منتصف شعبان سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٦م بإقامة زينة ومهرجان مرتين في شهر رمضان شهر الغفران، واتخاذ اللازم لإحضار لوازم الزينة والألعاب النارية التي يلزم استعمالها لذلك.

وكانت المطاعم تغلق أبوابها نهاراً، ومنها ما يغلق طوال الشهر. وفيه تستعيد تجديد نظافتها، ومن القهاوي ما يغلق نهاراً استعداداً للسهر طوال الليل حتى الفجر.

رمضان شهر الخيرات

لقد أجاد من وصفه بأنه شهر الصيام والقيام والإطعام والتسبيح والتراويح والمروءة والفتوّة.

واشتملت حجج أوقاف المساجد والمدارس على الكثير من أنواع البر والصدقات في هذا الشهر، من زيادة مرتبات خدمة المساجد وأئمتها، وتوزيع السكر عليهم وكسوتهم مع كسوة فقيه وعريف الكتاب الملحق بهما، وكسوة التلاميذ اليتامى وغيرهم.

وفي المدارس، تضاعف كميات الأكل والحلوى للطلبة والأساتذة. وخصصت الأموال الكثيرة لشراء قناطير اللحم الضأن والخبز والأرز والعسل والحبوب لطبخها وتوزيعها على الفقراء.

وفي بعض الخوانق والربط اشترط واقفها توزيع الحلوى على قاطنيها كل ليلة جمعة من رمضان هذا عدا زيادة المخصصات في رمضان.

وفي ظلال الدولة العباسية كانت دور المضيف ببغداد من الجانبين عشرين داراً، كل دار مجهزة في كل ليلة من ليالي رمضان بخمسمائة قدح، وألف وطل من المطبخ الخاص والخبز النقي والحلوى وغير ذلك، يستمر طوال كل رمضان.

وكان الصاحب بن عباد لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرِج من داره، إلا بعد الإفطار عنده.

وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي رمضان من ألف نفس مفطرة فيها، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يصرف منها في جميع شهور السنة.

ويؤثر عن القائد البحري لؤلؤ الحاجب، أنه كان سخياً، وأنه كان يوزع كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام، فإذا حلَّ شهر رمضان ضاعف ذلك وأشرف بنفسه على توزيع صدقاته من الظهر في كل يوم إلى نحو صلاة العشاء الآخرة وكان يضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد عشر ذراعاً مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجاً وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعي غنم وفي يده مغرفة. وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب إليهم الطعام، ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان. وكانوا لا يتزاحمون لعلهم أن الخير يعمهم، فإذا فرغ من إطعام الفقراء بسط سماطاً فخماً للأغنياء.

ولؤلؤ هذا قاهر البرنس أرناط صاحب الكرك، حينما فكر هو وفرنج الشوبك على المسير إلى قبر رسول الله ﷺ لينبشوه وينقلوا

جسده الشريف إلى بلادهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل، فإنه قام من مصر لمطاردهم سنة ٥٧٨هـ ١١٨٢م بأمر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة إلا يوم، فقاتلهم قتالاً عنيفاً وهزمهم وأسرهم، وقيدهم وساقهم إلى القاهرة، وكان لدخولهم يوم مشهور.

وكان الملك الظاهر بيبرس البندقداري يرتب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة لتوزيعها على الفقراء والمساكين.

وفي دولتي المماليك كان يوزع على الفقهاء والعلماء توسعة في شهر رمضان لأولادهم.

كما كان هناك تقليد طريف وهو إعداد أحمال من السكر والمكسرات ولحم الضأن منذ أول رمضان لتوزيعها على الفقراء في شهر رمضان تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة.

أما الحديث عن الكرم في هذا الشهر فهو حديث مستفيض، فالدور مفتوحة لاستقبال الوافدين عليها للإفطار ولا فرق بين غني وفقير.

وكان من عادة أغنياء مصر وجود مطبخين في كل بين من

بيوت الأغنياء، وأحدهما للرجال والثاني للحريم، فإذا حان وقت الإفطار مدت الموائد وجعلت مباحة للناس، لهم عادات وصدقات في المواسم وهكذا في الريف أيضاً إذا وقفت عقارات وأطيان للصرف على المضايف.

وما أجمل: المشاهد والمساجد الكبيرة في أنحاء القاهرة. الإمام الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والإمام الشافعي وغيرهم يقصدها الصائمون لعبادة الله وقراءة القرآن والاستماع إلى دروس العلم وسماع القرآن من مشاهير القراء.

وفي تلك المعابد الطاهرة نشعر بالروحانية والجلال، ويتجلى صفاء النفوس في البر والتقوى والتقرب إلى الله.

فإذا ما حان وقت الغروب شعرت بجلال رمضان وسطوته وقت الإفطار تكاد الشوارع على ازدحامها أن تقفر وتشعر أنك في رمضان حقاً.

ليلة القدر

"بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر".

يجزم فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون بعد أن استشهد بتلك السورة، وبالآيات الكريمة "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان". "حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين". بأنه لا يراد من إنزال القرآن في هذه الليلة إنزاله مرة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال إن المفسرين اختلفوا في المراد منه: فذهب بعضهم إلى أن القرآن نزل مرة واحدة إلى السماء الدنيا ولكنه نزل بعد ذلك على الرسول منجماً بمكة والمدينة، وذهب بعضهم، إلى أن المراد أن الله بدأ إنزاله على الرسول في هذه الليلة، وهو ما يرجحه على غيره من التفسيرات. ويكون المعنى أن الله بدأ إنزال القرآن على الرسول في هذه الليلة.

ولقد عظَّم الله شأن الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن ووصفها بأنها ليلة مباركة؛ لأن ابتداء نزول القرآن هو اللحظة الحاسمة الفارقة بين ظلام الشرك ونور التوحيد والهداية.

وقال النبي ﷺ في ليلة القدر – اطلبوها في العشر الأواخر من رمضان – وأكثر العلماء على أنها في السابعة والعشرين من شهر رمضان.

ومن نظم الشيخ محيي الدين بن العربي في معرفة ليلة القدر:

وإنا جميعاً إن نصم يوم جمعة ... ففي تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وإن كان يوم السبت أول صومنا ... فحادي وعشرين اعتمده بلا عذر
وإن هلَّ يوم الصوم في أحد فخذ ... ففي سابع العشرين ما رمت فاستقر
وإن هل في الاثنين فاعلم بأنه ... يوافيك ليل الوصل في تاسع العشر
ويوم الثلاثا إن بدأ الشهر فاعتمد ... على خامس العشرين تحظ بها فادر
وفي الأربعا إن هل يا من يرومها ... فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس إن بدأ الشهر فاجتهد ... نوافيك بعد العشر في ليلة الوتر

ومن رسالة القاضي الفاضل استهلالها:

الحمد لله الذي رفع قدر شهر الصيام بليلة قدره، وختم حاصل ثواب الصوم بمسك يوم فطره.

وفي دولة المماليك البحرية كان يقرأ البخاري طوال الشهر في الجامع الأزهري وختم ليلة القدر في حفل كبير يدعون فيه لأولي الأمر بالتوفيق والسداد، ويحضره القضاة الأربعة ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء، وفي نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخاري في خيمة كبيرة الحوش السلطاني بالقلعة رسمياً في مصر والإسكندرية.

وإلى الآن يحتفي بتلك الليلة رسمياً في مصر والإسكندرية.

التسحير

هو إيقاظ النيام كي يتسحروا ويشربوا قبل فوات الوقت، ويؤثر عن عنبسة بن إسحاق وإلى مصر في سنة ٢٣٨هـ ٨٥٢م أنه كان يذهب إلى جامع عمرو ماشياً من مدينة العسكر. وكان ينادي في طريقه بالسحور.

وكان الأديب ابن نقطة المزكلش المتوفي سنة ٥٩٧هـ ١٢٠٠م يسحر الناس منادياً: "نياما ... قُوما قوما للسحور"

وكان المؤذنون يتجاوبون على المنارات بتذكير النيام للسحور في فترات متفاوتة من الليل بأشعار لطيفة وبأهازيج عامية نذكر منها:

الدور الأول من التذكير:

أيهـــا النـــوام قومـــوا للفـــلاح   واذكـروا الله الـذي أجـرى الـرياح

إن جـــيش الليـــل قـــد ولَّى وراح   وتـــدانى عســـكر الصـــبح ولاح

اشربوا عَجْلَى فقد جاء الصباح

معشـــر الصـــوام يا بشـــراكمو   ربكـــم بالصـــوم قـــد هنـــاكمو

وجـــوار البيـــت قـــد أعطـــاكمو فـــافعلوا أفعـــال أرباب الصـــلاح

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

تسحروا رضي الله عنكم، تسحروا غفر الله لكم، تسحروا فإن في السحور بركة، تسحروا قال الله تعالى: "الصوم لي وأنا أجزي به".

وفي التذكير الثاني يقولون:

كلوا رضي الله عنكم، كلوا غفر الله لكم، كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً. كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، كلوا من زرق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور.

وفي التذكير بالدور الثالث يرددون:

يا مدبر الليالي والأيام. يا خالق النور والظلام يا ملجأ الأنام. يا ذا الطول والإنعام. رحم الله عبداً ذكر الله. ورحم الله عبداً شكر الله. رحم الله عبداً قال: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله.

وفي التذكير الرابع يرددون:

اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح – ويكررها – الدعاء في الأسحار مستجاب، اذكروا الله في القعود وفي القيام. وارغبوا إلى الله تعالى بالدعاء والثناء. اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح.

وفي الوداع:

يا صائمي رمضان فوزوا بالمنى وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا أو ليس هذا القول قول إلهنا

الصوم لي وأنا الذي أجزي به

من صام نال الفوز من رب العلا وبوجهه أضحى عليه مقبلا
يا من يروم توسلا وتوصلا صم رغبة في قول رب قد علا

الصوم لي وأنا الذي أجزي به

وأنكر ابن الحاج[٢] العالم المتزمت كثيراً من تلك التقاليد. وفي نقده أعطانا فكرة عما كان عليه التسحير في مصر وفي غيرها في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي فقال:

"إن المسلمين عرفوا التسحير منذ صدر الإسلام إذ أنهم يعرفون جواز الأكل بأذان بلال ومنعه بأذان ابن مكتوم.

ومن رأيه السير على تلك السنة أي أذانان بشرط تمييز صوت الأول عن الثاني، فقد جرت العادة أن المساجد الجامعة يكون فيها أكثر من مؤذن.

[٢] ابن الحاج الفاسي محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري الفاسي المصري كان عالماً فاضلاً توفى بالقاهرة سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٧م.

ثم ذكر أن التسحير في الديار المصرية – يقول المؤذن تسحروا. كلوا واشربوا. وما أشبه ذلك ويقرؤون الآية الشريفة: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم" ويكررونها مراراً. ثم ينبهونهم إلى الشرب قبل الإمساك بتلاوة الآية الشريفة: "إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجُها كافورا. عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا. يُوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ... إلى قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا" ثم ينشدون القصائد.

ويسحرون أيضاً بالطبلة يطوف بها المسحر على البيوت، ويضرب عليها.

أما أهل الإسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الأبواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم: قوموا كلوا، وأما أهل الشام فإنهم يسحرون بعزف الآلات الموسيقية والغناء.

وأما أهل المغرب فإنهم يفعلون قريباً من فعل أهل الشام فيضربون بالنقير على المنارات، ويكررون ذلك سبع مرات، ثم بعده يضربون بالأبواق سبعاً أو خمساً. فإذا قطعوا حرم الأكل إذ

ذاك عندهم.

وأنكر أيضاً تعليق الفوانيس التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب ما دامت معلقة موقودة على المنارات، وعلى تحريم ذلك إذا أنزلوها، وذلك لأن المنارات كانت تعلق عليها الفوانيس مضاءة حتى السحور. ثم تطفأ إيذاناً بالإمساك.

فانوس السحور

كان فانوس السحور موضع مساجلة بين الأدباء والشعراء يتبارون في وصفه بخيال رائق.

حدثنا علي بن ظافر الأديب المصري المتوفى سنة ٦١٣هـ ١٢١٦ قال: اجتمعنا ليلة في رمضان فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث[٣] وقد أوقد فانوس السحور، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي المعروف بالنعجة أن يصنع فيه، وإنما طلب بذلك تعجيزه فأنشد:

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه
ولكنه دون الكواكب لا يسري

[٣] كان المجلس في جامع عمرو بالقسطاط.

ولم أر نجماً قط قبل طلوعه

إذا غاب ينهي الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت، هذا تعجب لا يصح لأني والحاضرين قد رأينا نجوماً لا تدخل تحت الحصر، إذا غابت تنهي الصائمين عن الفطر، وهي نجوم الصباح، فأسرف الجماعة في تقريعه فأنشد:

هذا لواءُ سحور يستضاء به

وعسكر الشهب في الظلماء جرار

والصائمون جميعاً يهتدون به

كأنه علم في رأسه نار

فلما أصبحنا، سمع من كان غائباً من أصحابنا في ليلتنا ما جرى، فصنع الرشيد أبو عبد الله مُحَمَّد بن متانو وأنشد فيه:

أحبب بفانوس غداً صاعداً

وضوؤه دان من العين

يقضي بصوم وبفطر معا

فقد حوى وصف الهلالين

وأنشد الفقيه أبو مُحَمَّد القلعي:

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسري النجوم ولا يسري إذا رقبا
يراقب الصبح خوفاً أن يفاجئه
فإن بدا طالعا في أفقه غربا
كأنه عاشق وافي على شرف
يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

وأنشد ابن ظافر:

ألست ترى شخص المنار وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر
عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زهر الزهر منه شقيقة
لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد أحمر والدجى لمى
بدأ فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن لزنجي الدجى من لهيبه

ومن خفقه قلباً عراه وجيب

تراه يراعي الصبح ليلاً فإن دنا

طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها لعشق ففرّ إذ

درى أن رومى الصباح قريب

وقال في اختصار هذا المعنى:

انظر إلى المنار والفانوس فيه يرفع

كحامل رمحاً سنانه خضيب يلمع

وأنشد أيضاً:

وليلة صوم قد سهرت بجناحها

على أنها من طولها تعدل الدهرا

حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا

من الشهب قد أضحت مساميره تبثرا

وقام المنار المشرق اللون حاملا

لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا

كما قام رومى بكأس مدامة

وحيًّا بها زنجية وُشِّحت درا

وأنشد شهاب الدين يعقوب:

رأيـــت المنـــار وجـــنح الظـــلام مـــن الجـــو يســـدل أســـتاره

وحلّـــق في الجـــو فانوســـه فـــذهّب بالنـــور أفطـــاره

وخِلـــت المنـــار وفانوســـه فـــتى قـــام يصـــرف دينـــاره

وأنشد القاضي أبو الحسن بن النبيه:

حبذا في الصيام مئذنة الجا

مع والليل مسبل أذياله

خلتها والفانوس إذ رفعته

صائداً واقفاً لصيد الغزاله

وأنشد ابن نفطويه:

فصبوا لواء السحور وأوقدوا

في رأسه ناراً لمن يترصد

فكأنه سبّابة قد قُمعت

ذهباً وقامت في الدجى تتشهد

وأنشد الأديب أبو العز مظفر الأعمى بعد أن سمع جميع المقاطيع:

أرى علما للناس في الصوم ينصب
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو في الظلماء إلا كأنه
على رمح زنجي سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها
مع الليل تلهى كل من يترقب
فطوراً تحييه بباقة نرجس
وطوراً يحييها بكأس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صياداً على البعد قبله
إذا قربت منه الغزالة يهرب

المسحراتي

وكان وإلى الآن يدق المسحراتي على طبلته منشداً مواعظاً ومحيياً لسكان الدار وراوياً لهم الأقاصيص، فمن أقواله:

يا غفلان وحد ربك وبالتقى عمر قلبك
ما يوم تقلق على زرقك دا ربنا عالم بالحال
يا رب قدرنا على الصوم واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا يا رب باللحم المفروم أحسن يا رب ماليش أسنان

ووضع الزجال المشهور الشيخ مُحَمَّد النجار حمل زجل المسحر

المطلع

ثبت هلال رمضان وقالوا صيام لرؤيته والشك زال باليقين
أحياكم المولى إلى كل عام وكل عام وأنتم بخير طيبين

الدور

رمضان هو الشهر الذي فضله ربه على سائر شهور السنة
صحة لمن صامه وفيه الثواب والأجر للمؤمن والمؤمنة
فيه أنزل القرآن على المصطفى رحمة وآيات للهدى بينه
صوموا وصلوا فرضكم والقيام واستغنموا به الأجر يا مسلمين
أحياكم المولى إلى كل عام

دور

مفروض على بالغ وعاقل مقيم مسلم ومالك في الصيام صحته
صوموه وصلوا الخمس لا تتركوا فرض الإله مرة ولا سنته

والـوتر أدوا واقنتـوا محـافظين   علـى الصـلاة الوسـطى تـروا جنتـه
يشـفع لكـم المصـطفى في الزحـام   والموقـف الهايـل علـى المـذنبين

أحياكم المولى

دور

أنا المسحر جيت أطبل لكم   حـافظ أسـاميكم صـغير مـع كبـير
في كل ليلة لي على كل بيت   اللـي مـن الزمـة خـرج للفقـير
ولي عدية عندكم كل عيد   الكعـك وكفـوف الشـريك والفطـير
آجي أصحيكم وأنتم نيام   وقـت السـحر عـن كـل خـير غـافلين

أحياكم المولى

أنا المسح رجيت معي طبلتي   وأحكـي حكايـة الفـار وأقـول قصـته
وأحكي حكاية الفار وأقول ما جرى   بينـه وبـين القـط يـوم وقعتـه
الفار جعل بيت الفقير مسكنه   وكـل يـوم يسـطى علـى مشـنته
وحرمـه رغيـف يخبـزه ابـن الحـرام   وأكـل الحـرام خـلاه ملظلـظ سمـين

وظل يقص حكاية القط مع الفار إلى أن وقع الفار بين مخالبه.

ثم ختم الزجل بقوله:

أدي جـزاء مـن غرتـه شـهوته   حـتى هـوت في بـه مهـاوي الهـوان
وأدي جـزاء مـن راع بنفسـه إلى   موتـه وخـد لـه مـن عـدوه الأمـان

وأدي جزاء من كان يصدق جميع ما يسمعه ويميل لمدح اللسان
وأختم حكايتي بالصلاة والسلام على ابن رامه خاتم المرسلين
أحياك المولى إلى كل عام وكل عام وأنتم بخير طيبين

وله مواويل سحر بها المسحراتية.

إنوي صيامك وبيت نيتك بالليل وصم نهارك وخلي لك إلى الخير ميل
واعرف يقينك وشمر ساعدك والذيل لحفظ دينك واصح تكون "الأفرنكة"
وتقول على الصوم يهدّ العافية والحيل جوعوا تصحو حديث عن سيد السادات
له العيان بينه والتجربة إثبات دا شهر في العام ما هوش في جميع الأوقات
والإش يوم الشتا فجره مع المغرب ورؤية الأكل بعد الجوع لها فرحات
يا خاسر الدين يا فاطر نهار رمضان ما هوش كدا المسلمين ما هوش كدا الإيمان
تِدِبّ بطنك وتحلف قال كمان إيمان فاطر وكداب على الله في نفس واحد
في أمر تقدر عليه مع ضعفها النسوان قلل من الفول يا مخلول والطرشي
لحسن تغشلق وتبقى من العشا تحشي واصحى قوي تكتر قوي من أكلك المحشي
وتخمّه يا مرِمّ دي حلوه ودي وحشه تعيا ببطنك وعند الصوم ما تقدرشي

الصوم هو الصون عن فعل الذي فيه لوم　　عشان كدا كان من جملة عبادته النوم

وللسفر والعيا اللي لا تطيق فيه صوم　　يجوز لك الفطور فيه والصوم خير لك

والفطر فيه القضا واليوم عليك فيه يوم　　يا اللي على الفرض يوم العرض مش سائل

بكره عليه تتسئل والرب لك سائل　　إحسب حساب وقفتك وأنت ذليل سائل

وخجلتك في القيامة بين أيادي الله　　من العرق في غرق والدمع لك سائل

إن كنت تسمع نصيحتي والنصيحة تفيد　　قلل من الأكل ما أمكن بدون ترديد

وأكلك الكحك بعد الصوم نهار العيد　　يجيب عيا للكبد وتخسر المعدة

وكل ما يزيد دسم يكتر ضرر ويزيد

فإذا ما قارب الشهر الفراغ وحَّش الشهر بقوله لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم، لا أوحش الله منك يا شهر العزائم، لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود.

ولم يكن توحيش رمضان قاصراً على المسحراتي بل سبقه فيه المؤذنون والقراء وأنكر جمال الدين القاسمي التوحيش وعاب على أحد العلماء وهو يوحش رمضان، وقال يجب أن يتوجه بالموعظة ويقول:

عباد الله أشكروا نعمة الله على ما يسر لكم من صيام رمضان، وأعطاكم من نعمة الإيمان، فقد أمركم بذلك من بنوره يهتدي المهتدون فقال تعالى "ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون" ودّعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير، والعزم على دوام الجد والتشمير، فقد كان للمتقين روضة وأنسا. وللغافلين قيداً وحبساً، كان نزهة للأبرار، وقيداً للأشرار، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار، وحل في روضة التقوى في منزل الافتقار.

موائد رمضان

الكنافة والقطايف

لقد خص هذا الشهر بالمغالاة في إعداد موائده والإفراط في المرطبات والحلوى وعلى رأسها القطايف والكنافة، وكلاهما مما اختصت به مصر من أقدم العصور، ويقال أن الكنافة صنعت خصيصاً لسليمان بن عبد الملك كما قيل إنها عملت لمعاوية وكلاهما كان يتسحر منها.

وكانت الكنافة والقطايف موضع مساجلات بين الشعراء فمن ذلك قول علم الرؤساء أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المصري

في القطائف

وافي الصـــيام فوافتنـــا قطائفـــهُ كما تسـنّمت الكُثْبانُ مـن كَشَـبِ

وله أيضاً في القطائف المقلوة:

أهـلاً بشـهر غـدا فيـه لنـا خَلَـفٌ أكـل القطـائف عـن شـرب ابنـة العنـب
مـن كـل ملفوفـةٍ بـيضٍ إلى أخـر[4] حُمْـرٍ مـن القَلـي تشـفي[5] جنـة السَّـغبِ

ولابن يحيى بن أبي منصور المنجم:

قطـــائفٌ قـــد حشـــيت باللـــوز والســـكر المـــاذيّ[6] مشـــو المـــوزِ
تســـبح في آذِيِّ[7] دُهـــن الجـــوز ســـررت لمـــا وقعـــت في حَـــوْزِى
ســـرور عبـــاس بقـــرب فـــوز[8]

ولابن نباته المصري:

وقطـايف رقـت جسـوماً مثـل مـا غلظـــت قلـــوباً فهـــي لي أحســـاب
تحلـو فمـا تغلـو ويشـهد قطرهـا فيـــاض أن نـــدى علـــيَّ ســـحاب

[4] الشطر في المغرب .. "ما بين محشوة صفت إلى آخر".
[5] جنة السغب: شدة الجوع.
[6] الماذي: العسل.
[7] الآذي: الموج.
[8] فوز: هي معشوقة العباس بن الأحنف.

ولابن الوردي:

بعثـــــــت قطائفـــــــاً رَوِّى حشـــــاها قطرُهـــــا الغـــــامر

قســـــــــكرها أبـــــــو ذر ومرســـــــل صـــــحتها جـــــابر

ولابن نباته المصري:

أقـول وقـد جـاء الغـلام بصـحنه عقيـب طعـام الفطـر يا غايـة المـنى

بعيشـك قـل لي جاء صـحن قطائف وبح باسم من أهوى ودعني من الكنا[9]

وللصلاح الصفدي:

أتاني صـحن مـن قطائفـك الـتي غـدت وهـي روض قـد تنبـت بالقطـر

ولا غـرو إن صـدقت حلـو حـديثها وســـكرها يرويـــه لي عـــن أبي ذر

ولبرهان الدين القيراطي وكتب بها إلى القاضي نور الدين ابن حجر والد القاضي شهاب الدين[10].

مـولاي نـور الـدين ضـيفك لم يـزل يـوري مكارمـك الصـحيحة عـن عطـا

صــدقت قطائفــك الكبــار حــلاوة بفمــي ولــيس بمنكــر صــدق القطــا

[9] تورية بشير بها إلى معنيين: الكنى جمع كنية والكنا هنا بمعنى الكنافة

[10] هو أحمد بن حجر العسقلاني.

ولابن المنشد:

وقطائف مثل البدور أنت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بدت في صحنها أقراص شهد

وللسراج الوراق:

قطائفك التي رقت جسوما لماضغها كما كثفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر غدا المرعى الجديب به خصيبا

ولابن نباته:

رعى الله نعماك التي من أقلّها قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفي فأهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر

وللعلم المرصص:

وحقك ما أوليتني من قطائف ألذ وأحلى من وصال القطائف
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة ألم ترها ملفوفة كالصحائف

وللشاعر المصري الجمال أبو الحسن الجزار من قصيدة إلى جمال الدين بن يغمور.

ما رأت عيني الكنافة إلا عند بياعها على الدكان

وقوله لشرف الدين الفاتزي:

أيا شرفَ الدين الذي فيضُ جوده ... براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة إنني ... لأرجو لها من سُحب راحتك القَطْرا
فعجِّل به جودا فمالي حاجة ... سواه نباتا يثمرُ الحمدَ والشكرا

وقوله:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر ... وجاد عليها مكر دائم الدر
وتبّاً لأوقات المخلل إنها ... وتمرّ بلا نفع وتحسب من عمري
أهيم غراماً كلما ذُكر الحمى ... وليس الحمى إلا القُطَارة بالسّحْر

وله:

تالله ما لثم المراشف ... كلا ولا ضمَّ المعاطف
بِألذّ وقعاً في حشاي ... من الكنافة والقطائف

ولابن نباته المصري وقد أهدى كنافة مخنقة:

يا سيدي جاءتك في صدرها ... كأنها روحي في صدري
كنافةً بالحلو موعودة ... كما تقول العسل المصري
قد خنقتني عبرتي كاسمها ... وبادرت من خلفها تجري
ما خرج الفستق من قشره ... فيها وقد أخرجت من قشري
ونشرها من طيبها لم يفح ... فاعجب لسوء الطي والنشر

فهـــاك حلـــوا قـــد تكفلتـــه ... ولا تســـل عـــني وعـــن صـــبري
كأنهـــا الدُّميـــة لكنهـــا ... لا نفحـــة العـــرف ولا القطـــر
لا زلـــت في الـــدهر كمـــا تبتغـــي ... وفـــوق مـــا تبغـــي مـــن الـــدهر

وقال زين القضاة السكندري:

لله در قطـــــائف محشـــــوة ... مـــن فســـتق رعـــت النـــواظر واليـــدا
شـــبهتها لمـــا بـــدت في صـــحنها ... بحقـاق عـاج قـد حشـين زَبَـرْ جـدا

وقال أبو الحسين بن مُحَمَّد الترمسي:

وقطـــايف محشـــوة بلطـــائف ... طافـت بنـا أكـرم بهـا مـن طـايف
شـــبهتها نُضـــدت علـــى أطباقهـــا ... بوصـــائف قامـــت بجنـــب وصـــايف

وقال سيف الدين بن قزل المنشد:

وقطـــايف مثـــل البـــذو ... ر أنـــت لنـــا مـــن غـــير وعـــد
قـــد ســـقيت قطـــر النبـــا ... ت وطيبـــــت بالمـــــاء ورد
فحســـبتها لمـــا بـــدت ... في صـــحنها أقـــراص شـــهد

وقال سعد الدين بن عربي:

وقطـــايف مقرونـــة بكنافـــة ... مـــن فـــوقهن الســـكر المـــذرور

هانيـــك تطـــربني بـــنظم رائـــق ويـــروقني مـــن هـــذه المنثـــور

وللعلامة جلال الدين السيوطي رسالة ظريفة عنوانها منهل اللطايف في الكنافة والقطايف.

وهناك أنواع أخرى من الحلوى اهتم المصريون بأكلها في شهر رمضان. تصادف أن ارتفعت أثمانها في رمضان سنة ٩١٧هـ فرفعت شكوى منظومة إلى المحتسب حوت أنواعاً من الحلوى منها:

لقـد جـاد بالبركـات فضـل زماننـا بأنـــواع حلـــوى نشـــرها يتضـــوّعُ
حكتهـا شـفاه الغانيـات حـلاوة ألم تـرنى مـن طعمهـا لسـت أشـبع
فـلا عيـب فيهـا غـير أن محبّهـا يبـــدّد فيهـــا مـــا لـــه ويضـــيّع
فكم ست حسن مع أصابع زينب بهـا كـل مـا تهـوى النفـوس مجمّـع
وكـم كعكـة تحكـي أسـاور فضـة وكـم عقـدة حلّـت بهـا البسـط أجمـع
وكـم قـد حـلا في مصـر مـن قاهريـة كـذلك المشـبّكْ، وصـله لـيس يُقطـع
وفي ثوبـه المنفـوش جـاء يرونـق فيـا حبـذا أنـواره حـين تسـطع
وقد صرت في وصف القطايف هائماً تـــراني لأبـــواب الكنافـــة أقْـــرع
فيـا قاضـيا يا الله محتسـباً عسـى تـرخص لنـا الحلـوى نطيـب ونرتـع

رمضان في القرن التاسع عشر بمصر

إن عوائد وتقاليد شهر رمضان لم تتغير في حقبة من حقبات التاريخ كما يظهر من الاستعراض الذي ذكرناه في مختلف العصور.

والمستشرق الإنجليزي لين أقام بمصر في القرن التاسع عشر ١٨٢٥ – ١٣٣٣ فاستهوته بعاداتها وتقاليدها، ومنها شهر رمضان الذي يصفه كما رآه وعاش في بحبوحته.

"تسمى الليلة التي يترقب فيها هلال رمضان ليلة الرؤية، فيذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق، أو قبل ذلك ليقضوا بضع ليال في الصحراء، حيث يصفو الجو خاصة لرؤية الهلال الجديد، إذ أن الصيام يبدأ في اليوم التالي لرؤية الهلال، فإذا تعذرت رؤيته بسبب السحب، بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوماً، وفي مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة الطحانين والخبازين والجزارين والبدالين وباعة الفاكهة ومعهم بعض أعضاء من هذه الحرف، وفرق من الموسيقين، وفرق من الجنود من القلعة إلى مجلس القاضي، وينتظرون شهود الرؤية، وتزدحم الشوارع التي يمر منها هذا الموكب بالمشاهدين على الجانبين، وجرت العادة في هذا الموكب أن تقاد خيول مسرجة

بأجمل السرج.

غير أن الموكب المدني والديني استبدل أكثره بعرض عسكري فيتكون موكب ليلة الرؤية الآن من مشاة النظام خاصة ويتقدم حاملو المشاعل كل فرقة من الجنود ويتبعونها لينيروا لهم الطريق، ويتلوهم شيخ حرفة وآخرون من أتباعه والشعب حولهم مهللاً مكبراً، ويفصل كل فرقتين أو ثلاث عدة دقائق، ويختم المحتسب وتابعوه الموكب.

وعندما يصل خبر رؤية الهلال يقسم الجنود الآخرون أنفسهم إلى عدة فرق تعود إحداها إلى القلعة (مقر الحكم) ويجول الآخرون في الأحياء المختلفة صائحين يا أمة خير الأنام صيام صيام. فإذا لم يظهر الهلال ينادون غداً من شهر شعبان – فطار – فطار – ويقضي الناس على العموم شطراً كبيراً من الليل عندما يعلن بدء الصيام في الغد في الأكل والشرب والتدخين ويبتهجون وتضاء المساجد طوال الشهر، وتعلق المصابيح عند مداخل المساجد وفوق شرفات المآذن.

لم يعد المرء يشاهد في رمضان المارة يمسكون بشبكهم في الشوارع كما كان يشاهد في أوقات أخرى، فيراهم بدلاً من ذلك

إلى ما قبل الغروب، يحملون عصا أو مسبحة ويجاملهم المسيحيون في عدم التدخين علانية، وتبدو الشوارع كئيبة في الصباح، إذ أن كثيراً من الحوانيت يغلق، غير أنها تفتح جميعاً في العصر وتزدحم كالمعتاد، وبعض الصائمين ينحرف مزاجه قليلاً في النهار. وفي الليل يعد الإفطار يبشون ويمرحون.وعادة كبار الأتراك بالقاهرة وكثيرين غيرهم أن يقصدوا مسجد الإمام الحسين عصر كل يوم من رمضان للصلاة، وفي هذا الوقت يعرض بعض التجار الأتراك الذين يسمون تحفجية على الناس في ساحة الميضاة مجموعة من البضائع ذات ذوق وترف يلائمان رغبات مواطنيهم وغيرهم.

ومن الشائع في هذا الشهر أن تشاهد تجاراً في حوانيتهم يتلون القرآن أو الأدعية أو يوزعون الخبز على الفقراء.

وفي الليل تزدحم المقاهي بأخلاط الناس لتناول القهوة والتدخين في الشبك. وفي رمضان على العموم يوضع كرسي عليه صينية الطعام قبيل الغروب في غرفة الاستقبال بمنازل الطبقتين العليا والوسطى ويوضع عليها صحاف عديدة تحوي أصنافاً مختلفة من المرطبات والمكسرات والبلح والتين ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم على غير انتظار وتجهز الشبكات أيضاً. فقد جرت العادة أن تزود المنازل التي يكثر زوارها بشبكات للتدخين،

فإذا ما أذن للمغرب يشرب رب الدار ومن معه كوباً من الشربات. ثم يقيمون الصلاة عادة ويتناولون شيئاً من المكسرات المقشرة ومن البلح والتين ويدخنون الشبك. وبعد هذا الأكل الخفيف يجلسون لتناول طعام وافر من اللحم وغيره.

وبعد الفراغ من الطعام وشرب القهوة وتدخين الشبك يقيمون صلاة العشاء ويؤدون صلاة التراويح وقل من يقيم هذه الصلاة إلا في المسجد.

وتقفل المساجد الصغيرة في رمضان بعد صلاة التراويح. وتظل الجوامع الكبيرة مفتوحة إلى السحور أو إلى الإمساك ويضاء داخلها ومداخلها مادامت مفتوحة. وتضاء المآذن طول الليل ويختلف مدى الوقت الذي يصومون فيه ما بين ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة تبعاً لطول الليل أو قصره.

ويتناول المسلمون على العموم فطورهم بالمنزل في شهر رمضان وبعد ذلك يمضون أحياناً ساعة أو ساعتين في منزل أحد الأصدقاء. ويقصد الكثير منهم وخاصة متوسطي الحال إلى المقاهي مساء للاستماع إلى أحد القاصين الذين يسلون القوم في عدة مقاه كل ليلة من هذا الشهر. ويشاهد في الشطر الأكبر من

الليل كثيراً من المارة في الشوارع. وتظل دكاكين المشروبات والمأكولات مفتوحة وهكذا ينقلب الليل نهاراً وبخاصة عند الأغنياء الذين ينام أكثرهم معظم النهار. وجرت عادة بعض علماء القاهرة أن يقيموا ذكراً في منازلهم كل ليلة من رمضان.

في كل ليلة من ليالي رمضان يجول المسحرون ليقولون أولاً كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئهم. في ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور. ولكل "خط" أو قسم صغير في القاهرة مسحر. ويبدأ المسحر جولانه بعد الغروب بساعتين تقريباً أي بعد صلاة العشاء ممسكاً بشماله طبلاً صغيراً يسمى بازا أو طبلة المسحر وبيمينه عصا ويقف أمام منزل كل مسلم غير فقير. وفي كل مرة يضرب طبلته ثلاث مرات ثم ينشد قائلاً: "مُحَمَّد الهادي رسول الله" ثم يعود إلى ضرب طبلته ويواصل كلامه (واسعد لياليك يا فلان (مسمياً صاحب المنزل)) ثم أولاده دون النساء وللبنات يقول أسعد الليالي إلى ست العرايس فلانة. ويضرب طبلته بعد كل تحية. وهو ينشد أمام منازل العظماء وغيرهم بعد أن يقول: عز من يقول لا إله إلا الله مُحَمَّد الهادي رسول الله أغنية طويلة في سجع غير موزون يبدأ فيها باستغفار الله ويصلي على الرسول. ثم يأخذ في رواية قصة المعراج وغيرها من قصص المعجزات.

ويتناول المسحر على العموم من منزل المتوسطي الطبقة قرشين أو ثلاثة قروش أو أربعة في العيد الصغير (مع الهدايا من الكعك) وفي بعض الليالي يطلبون منه قصصاً قصيرة ويلقون إليه بالنقود من النافذة فيروي لهن قصة قصيرة في سجع غير موزون. مثل قصة الضرتين وهي قصة مشاجرة بين امرأتين متزوجتين من رجل واحد.

ويقام في هذا الشهر آذانان قبيل الفجر يلقي أولهما ويسمى "الأبرار" قبل منتصف الليل، ويتكون من الآيات الكريمة "إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا"

ويسمى الآذان الثاني "السلام" وهو مجموعة من الصلاة على الرسول تشبه تلك التي تقرأ قبل صلاة الجمعة، ويلقى على العموم بعد منتصف الليل بنصف ساعة. ويلقى آذان الصباح أكثر تبكيراً من المعتاد لتنبيه المسلمين إلى تناول السحور.

ويتجول المسحر قبل الإمساك بساعة ونصف ليوقظ من الناس من أمروه بالمناداة عليهم، فيقرع الباب وينادي إلى أن

يجاب، ويفعل مثله بواب حارة.

وبعض الناس يتناول فطوراً خفيفاً ويجعلون السحور الوجبة الرئيسية ويفعل آخرون بالعكس ويمضي الكثير من الصالحين الأيام العشرة الأخيرة من رمضان ولياليها في مسجد الإمام الحسين أو مسجد السيدة زينب.

ويحتفلون بليلة القدر ويعتقدون أن الملائكة تنزل في بدء تلك الليلة إلى الفجر لتحمل النعم إلى المؤمنين. وأن الدعاء يجاب بلا ريب إذ أن أبواب السماء تفتح حينئذ.

ويقال إن الماء المالح ينقلب فجأة عذباً في هذه الليلة، ولذلك يراعي الأتقياء الليالي العشر الأخيرة من رمضان بخشوع عظيم لعدم تحققهم من موعدها، لأن المتواتر أنها ليلة ٢١ أو ٢٣ أو ٢٥ أو ٢٧ أو ٢٩.

رمضان في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة

يتفق هذا الإقليم مع شقيقه الإقليم الجنوبي في كثير من العادات، وكان لشهر رمضان فيه روعة وجلال. فترى الناس يهرعون إلى المساجد للعبادة وصلاة التراويح وتلاوة القرآن، كما يزداد إقبالهم على البر وبذل الصدقات وكانت لهم عادات طريفة

في التسحير إذ يوقظون النيام على نغمات الموسيقى وذلك في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

وقد وصفهم رحالة في مستهل القرن الحادي عشر الهجري بأنهم يحيون ليالي رمضان المعظم بإقامة التراويح بأحسن أداء يورث النشاط. وأن المكبرين يلونون في التكبير بالأصوات الحسنة. والإمام يصليها بسورة الرحمن بصوت حسن.

وفي أخريات الشهر يصلون مع الإمام اثنى عشرة ركعة عقب التراويح يزعمون أنها صلاة الرغائب.

وفي هذا الشهر يضاء باب البريد أحد أبواب الجامع الأموي ويزين أجمل زينة.

وفي مدينة حلب إذا ما بلغ الطفل سن المراهقة صام رمضان فيعمل له في أول يوم صامه مائدة حافلة مملوءة من أنواع الحلوى يفطر عليها.

وهم يشاركون مصر أيضاً في المسحراتي بطبلته، وإحياء ليالي رمضان بتلاوة القرآن في المساجد والدور، والتذكير قبيل السحور.

وكان يخرج قبل العيد بيومين رجل مضحك "مسخرة" يلبس

قلنسوة طويلة في أعلاها ذنب ثعلب وفي يده دف يدق عليه وأمامه حمار مزين بالخرز الملون والودع، معصب الرأس بالمناديل الملونة، فيدور على هذه الهيئة بالأزقة والشوارع مستجدياً عارضاً ألعابه ورقصه " ويسمونه جحش العيد".

وكان يخرج في كل يوم من أيام العيد صبيان قد صبغوا أجسادهم، ولبسوا ثياباً قصيرة وفي رؤوسهم قلانس طويلة، وفي أيديهم دفوف يضربون عليها ويمرون على دور الأغنياء مادحين لهم راقصين أمامهم فيمنحونهم الهبات والحلوى ويقال لهم: "بيضا بيضا".

رمضان في تونس

وشاركت بلاد المغرب الأقطار الإسلامية في الحفاوة بهذا الشهر المبارك كما شاركتها في بعض عوائده وتقاليده.

وقد سبقت الإشارة إلى عوائدهم في التسحير والتنبيه إلى مواعيد السحور بضرب النفير من فوق المنارات. كضربهم به في الأفراح وهم يحتفلون بهذا الشهر غاية الاحتفال ويتفرغون فيه للعبادة ويحيونه بالبر والصدقات.

وفي تونس الخضراء يختمون في غالب المساجد القرآن العظيم

في صلاة التراويح إلا فيما قل من المساجد.

وكذلك اعتناؤهم بختم المسند الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه وبقية الأسانيد السنة، إلا أن البخاري عندهم أشهر وروايته أظهر وإن كان غيرهم من المغاربة يقدمون كتاب الإمام مسلم بن الحجاج ﷺ على كتاب البخاري. وكلهم على حقيقة وصحة.

رمضان في استانبول - في نهاية القرن التاسع عشر:

كانت استانبول إلى هذه الحقبة مقر الخلافة الإسلامية. ولذلك آثرت تتبع إحياء رمضان فيها:

ومن أجل العوائد في بيت الخلافة وقتئذ قراءة تفسير القرآن الشريف في شهر رمضان بحضور الخليفة. فيحضر في القصر السلطاني عشرة من مشاهير المدرسين ومعهم جملة من الطلبة قبيل العصر.

وبعد صلاة العصر يجلس كل واحد منهم في مجلسه الخاص، ويجلس الجميع على شكل هلال به أريكة جلالة الخليفة. فيشرع الذي عليه الدور في الدرس من هؤلاء العشرة فيقرأ التفسير ويسأله الطلبة الحاضرون عما يعن لهم من الأسئلة في الآية التي

يفسرها، وهو يجيب وهكذا حتى يختم الدرس.

ثم يتبعه في اليوم التالي أو الذي بعده على ما تقتضيه الإرادة السنية أستاذ آخر من العشرة حتى تتم عدة شهر رمضان في سماع تلك الدروس. وعلى هذا الأسلوب، وهي عادة قديمة في الدولة العثمانية منذ قرنين. وبعد أن ينعم على الأستاذة والطلبة بهبات يقرأ معهم الفاتحة ثم ينصرفون.

ومن العوائد القديمة في الآستانة وقتئذ أن يتخذوا صحن مسجد بايزيد في رمضان سوقاً تعرض فيه البضائع على اختلافها. ويبدءوا بإعداد هذا السوق منذ منتصف شهر شعبان فلا يأتي رمضان إلا والصحن معرض عظيم يحرم على النساء ارتياده. ومن العوائد ترتيب الإضاءة في بعض المساجد بشكل يقرأ منه بعض الكلمات أو الجمل المركبة وكذا ما بين المنارتين في المساجد المتعددة المنارات حيث تقرأ مرحباً برمضان وما شاكل ذلك بخط جميل من نور في عرض الجو.

ومن العوائد أيضاً أن ينزل الخليفة في نصف رمضان لزيارة الخرقة المباركة المودعة في السراي القديمة الهمايونية. ويكون لهذا اليوم شأن عظيم يحتفل به الصغير والكبير ليجتلوا طلعة خليفتهم.

ومن تقاليدهم أن يتناول كبار رجال الدولة الإفطار على الموائد السلطانية وكذلك أفراد الجند مع أمرائهم وتعطى لهم هبات بعد الإفطار.

أما ليلة ٢٧ ليلة القدر فيحتفلون بها احتفالاً خاصاً يحضره الخليفة في المسجد المحمدي ويصلي فيه صلاة التراويح. وتضاء المدينة تلك الليلة ويكثر فيها الفرح والابتهاج. وفي جامع أيا صوفيا يجتمع الناس في تلك الليلة ويقرءون القرآن. ويقام بفناء الجامع سوق حافلة.

وإلى وقت ليس بالبعيد كانت طريقة الإضاءة بالكتابة تستعمل بالحروف اللاتينية ولعلها موجودة إلى الآن.

رمضان في الأدب العربي

لم يترك الأدب العربي شيئاً إلا تناوله، وكثيراً ما تناول الأشياء بالقدح أو المدح أو بهما معاً وكان لشهر رمضان حظ من الشعر ما بين ترحيب بمقدمه وتوديع له مع استقبال العيد.

فمن أحسن ما قيل في التهنئة بشهر رمضان:

نلـــت في ذا الصـــيام مـــا ترتجيـــه ووقـــاك الله لـــه مـــا تتقيـــه

أنت في الناس مثل شهرك في الأش هــــر أو مثـــل ليلـــة القـــدر فيـــه

ولهبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك من قصيدة:

تهـن بهـذا الصـوم يا خـير صـائر إلى كـل مـا يهـوى ويا خـير صـائم

ومن صام عن كل الفواحش عمره فـــأهون شـــيء هجـــره للمطـــاعم

ولابن الرومي:

شـــــهر الصـــــيام مبـــــارك مــــا لم يكـــــن في شـــــهر آب

خفــــت العــــذاب فصــــمته فوقعـــــت في نفـــــس العـــــذاب

فأكمله شاعر آخر:

اليـــــوم فيـــــه كأنـــــه مـــــن طولـــه يـــوم الحســـاب

والليـــــل فيـــــه كأنـــــه ليـــــل التواصـــــل والعتـــــاب

ولمحمد بن الرومي المعروف بماماي:

ولما انقضى شهر الصيام بفضله تجلى هلال العيد من جانب الغرب

كحاجب شيخ شاب من طول عمره يشـير لنـا بالرمـز للأكـل والشـرب

ولابن قلاقس من قصيدة:

وهـــلال شـــوال يقـــول مصـــدقاً بيـــدي غصـــبت النـــون مـــن رمضـــان

وللصاحب بن عباد:

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا في الصيام للمرء مهما كان مستيقظاً أتم الفوائد

موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

ولعمارة اليمني:

وهنئت من شهر الصيام بزائر مناه لو أن الشهر عندك أشهر

وما العيد إلا أنت فانظر هلاله فما هو إلا في عدوك خنجر

وللطغرائي:

قوموا إلى لذاتكم يا نيام ونبهوا العود وصفو المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن السلار:

وقد سلت أكف الفطر جهرا على شهر الصيام سيوف باس

ولاح لنا الهلال كشطر طوق على لبات زرقاء اللباس

ولابن المعتز:

أهلاً بفطر قد أتاك هلاله فالآن فاغد إلى السرور وبكّر

فكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

ولظافر الحداد السكندري:

هلــل فــإن هــلال العيــد عــاد بمــا قــد كنــت تعهــد مــن لهــو ومــن طــرب
كحلقــة مــن لجــين ذاب أكثرهــا لمــا تغافــل ملقيهــا علــى اللهــب

وقال الجزار:

إن هــلال الفطــر لمــا بــدا مستحســنا في أعــين النــاس
وددت أن ألثمــه عنــدما راح يحــاكي شــفة الكــاس

وللأمير تميم بن المعز لدين الله يهنئ الخليفة العزيز بالله بشهر رمضان.

ليهنــك إن الصــوم فــرض مؤكــد مــن الله مفــروض علــى كــل مســلم
وإنــك مفــروضَ المحبــة مثلــه علينــا بحــقٍ قلــتُ لا بالتــوهم
فهنئتــه يا مــن بــه الله قابــلُ مــن الخلــق فيــه كــل نُســكٍ مقــدم
ولا زلت منصوراً على فرض صومه ومعتصــما بالله مــن كــل مُحــرَم

وقال: أيضاً يمدح الخليفة العزيز بالله ويهنئه بشهر الصوم

شــهر الصــيام أجــل شــهر مقبــل وبــه يمحــص كــل ذنــب مثقــل
وكـذاك أنـت أبـر مـن وطئ الحصا وأجــلّ أبنــاء النــبي المرســل
يا حجــة الــرحمن عنــد عبــادة وشــهابَةُ في كــل أمــر مشــكل
مــن لم يكــن صــومه متقــرباً بــك للإلــه فصــومه لم يقبــل

وحدثنا أحمد بن يوسف من كتاب الدولة العباسية قال أمرني المأمون أن أكتب إلى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان وتعريفهم ما في ذلك من الفضل فما دربت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك. إذ لم يسبقني إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه. فقلت في وقت نصف النهار. فآتاني آتٍ فقال: قل: فإن في ذلك أنساً للسائلة وإضاءة للمجتهدين، ونفياً لمكان. الريب. وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلمة. فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو في معناه.

التشهير بالمفطرين

لأمير الزجل الشيخ مُحَّد النجار موالياً نظمها في الشريعة الإسلامية استهلها بقوله:

يا تارك الشرع فين تقواك وإيمانك	وفين عهودك وميثاقك وإيمانك

ومنها:

يا خاسر الدين يا فاطر نهار رمضان	طاوع إلهك وخالف النفس والشيطان
دا الصوم هو الصون ومنه صحة الأبدان	لك فرحتين، فرحتك وقت ما تفطر

ومنها:

زكاة صيامك عليك واجب تطلعها ... ما دمت قادر عليها ليه بتمنعها
طهر بها النفس من بخلك وادفعها ... ده نصف صاع قمح أو أزيد ما هوش حاجة
تنفذ حياة ناس قليل المال ينفعها

وللشيخ مُحَمَّد الجنيهي قصيدة من هذا النوع تقتطف منها:

جاء الكتاب بأعمال لها حكم ... إن ظلّ يعملها الأعمى تبصره
منها الصلاة ومنها الصوم هل ... عنك الصلاة لعذر أنت ذاكره
صام الأفاضل شهر الصوم ... دموعهم لشهود لست تحضره
وأنت ساهٍ ولاهٍ غير مرتكب ... إلا الذي كاتب الأوزار يحصره
أطعت بطنك كالأنعام تطعمها ... ما تشتهيه ألا نهيٌ تحاذره
لهم بطنك ما لاحظت عاقبة ... يا من تصاغر والدنيا تكبره

ومنها:

وهل ترى الصوم إلا فرط مرحمة ... يهدى لها العبد فضلاً ثم يأجره
أهل الكمال لهم في الصوم مصلحة ... تخفى على من له بطن تباكره
فيا بطين ومن تدعوه شهوته ... أن يمض شهر التهاني وهو مفطره
لا أصلح الله حال المفسدين ولا ... بمبعض الدين يوما سرّ زائره

ختام رمضان

اهتمت الدولة الفاطمية بختام رمضان ومقدم العيد اهتماماً باستهلاله. وبالغ خلفاؤها في الاحتفاء بهما بأشكال متنوعة، خصوصاً وأن عيد الفطر عندهم هو الموسم الكبير ويعرف بعيد الحلل، حيث توزع فيه كسوة العيد على الخاصة والعامة. وبلغت نفقاتها في سنة ٥١٥هـ. ١١٢١م حوالي عشرين ألف دينار. وهي ثياب قيمة من نسيج دور الطراز في تنّيس ودمياط والإسكندرية أعدت في خزانة الكسوات يرسم الرجال والنساء لتوزيعها ليلة العيد.

وفي الوقت نفسه تكون دار الفطرة أنجزت الكميات اللازمة من كعك، وحلوى وكعب الغزال. لتوزيعها وإعداد سماط العيد، وهي كميات كبيرة يعدونها ابتداء من شهر رجب حتى نصف رمضان.

ولإعداد هذه الأصناف ميزانية كبيرة بلغت ستة عشر ألف دينار لشراء الدقيق وقناطير السكر واللوز والجوز والفستق والسيرج والسمسم والعسل وماء الورد والمسك والكافور.

هذا عدا المناديل والمفارش الحريرية لإعداد السماط والفوط

التي يغطى بها الكعك عند توزيعه على الخاصة والعامة.

فإذا كان التاسع والعشرون من شهر رمضان صدرت الأوامر بمضاعفة ما هو مقرر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر.

وفي سنة ٥١٥هـ ١١٢١م كان الخليفة الآمر بأحكام الله ووزيره المأمون بن البطائحي يحتفيان بختام رمضان احتفاء كبيراً عدَّلا فيه الكثير من تقاليد هذا الاحتفال، فحضر المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسمطة على العادة، وحضر إخوته وعمومته وجميع المدعوين، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن المعد لجلوس الخليفة، وأرسلت سيدات القصور أواني الماء ملفوفة في شقق الحرير. ووضعت أمام المقرئين لتشملها بركة ختم القرآن، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وترتيلاً بأصوات حسنة. ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع. ودعا فأبلغ، ثم رفع الفراشون أواني الماء برسم سيدات القصور، ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في إنشاد أدعية صوفية إلى أن نثر عليهم الخليفة من الروشن دراهم ودنانير، ووزعت عليهم أطباق القطائف مع الحلوى، ووزعت خلع العيد على الخطيب وغيره كما وزعت الدراهم على

المقرئين والمؤذنين.

وفي الوقت نفسه تحمل أنواع الكعك والحلويات إلى قاعة الذهب وتجد السماط في قاعة العرش مع تماثيل الحلوى، ثم يحضر الخليفة مع الوزير إلى الإيوان والمقرئون يتلون آيات من القرآن يختارونها لتلك المناسبة مثل قوله تعالى: "والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمُّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون".

وحينما يجلس الخليفة في الإيوان يجلس على يمينه الوزير ثم يجلس بعده الأمراء بعد أداء التحية، كل في المكان المخصص له، ويتبعهم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم وهم وقوف في آخر الإيوان.

ثم يتقدم متولي كل إسطبل من الرواض وغيرهم فيقبل الأرض، ثم يستعرض الخليفة ومن معه الدواب بفرسانها بملابسهم المهداة لهم إلى أن يتم عرض جميع ما أحضروه. وهو ما يزيد على ألف فرس.

وبعد العرض يعاود المقرءون القراءة مختارين آيات من القرآن مثل قوله تعالى: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عنده حسنُ المآب".

ثم يتلون بعدها قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء (الآية) وبعد ذلك يستعرض الخليفة الوحوش بالأجلة الديباج والديبقي بقباب الذهب والمناطق والأهلة. وبعدها النجب والبخاتي بالملابس المزركشة. ثم يستعرض السلام وآلات الموكب جميعها.

هذا والموسيقى تعزف على باب العيد، كل هذا والخليفة جالس في النظرة بين باب الذهب وباب البحر من القصور الفاطمية.

وبعد أن يحمل إلى الخليفة فطوره الخاص المعطر بالمسك والعود والكافور والزعفران معِ أنواع البلح الملونة التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره المعبأة، وفي أطباق الذهب المكللة بالجوهر، يستعرض الوزير سماط العيد بقاعة الذهب. وفي الوقت نفسه يعتلي الخليفة سرير ملكه ويقدم عليه فطوره فيجلس عن يمينه الوزير بعد تأدية التحية والسلام، ثم يأمر بإحضار الأمراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف والرسل ويكشف الغطاء عن فطور

الخليفة فيأخذ تمرة يفطر عليها. وناول مثلها للوزير فأظهر الفطر عليها، وتناول الخليفة من جميع ما قدم له ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله في كمه، وهكذا مع بقية المدعوين يناولهم الخليفة بيده فيجعلونه في أكمامهم بعد تقبيله.

ثم يأذن الوزير بناء على أمر الخليفة بافتتاح السماط والسماح للحاضرين بالأكل منه وأخذ ما يشتهون معهم، ولا حرج من ذلك بل له به الشرف والميزة، وافتتح السماط، ثم أذن للناس بالدخول وأخذ ما على السماط.

وكذلك أعد الوزير في داره سماطاً مثل هذا السماط لا ينقصه إلا الفطور الخاص بالخليفة، وبعد انصرافه من القصر يأذن بافتتاح سماطه للخاصة، ثم إباحته للعامة.

وفي هذا الوقت تكون قد وزعت بقية الخلع على الجند والمستخدمين ليخرجوا بها في موكب صلاة العيد.

صلاة العيد:

كانت صلاة العيد تؤدى في مصلى العيد خارج باب النصر وهي مصلى كبيرة قائمة على ربوة وجميعها مبني بالحجر، ومحاطة بسور وعلى بابها قلعة، وفي صدرها قبة كبيرة بها محراب، والمنبر إلى

جانب القبة وسط المصلى مكشوفاً تحت السماء. ارتفاعه ثلاثون درجة، وعرضه ثلاثة أذرع، وفي أعلاه جلسة الخطيب.

فإذا أكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون يوماً. وكان اليوم من شوال صار صاحب بيت المال إلى المصلى خارج باب النصر وفرش السجاد بمحراب المصلى، ويعلق سترين يمنة ويسرة مرقوم في الأيمن: الفاتحة وسورة سبح اسم ربك الأعلى، وفي الأيسر مرقوم الفاتحة وسورة هل أتاك حديث الغاشية، ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة. وهما منشوران مرخيان. ويوضع على ذروة المنبر طراحة من حرير ديبقي. كما يفرش درج المنبر بحرير مثبت فيه.

وفي هذا اليوم بسير الوزير من منزله ومعه كبار الموظفين وأولاده وإخوته في ملابسهم الجديدة إلى باب القصر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة مثل موكب رؤيا رمضان وأول العام، وتكون ملابسه في هذا اليوم بيضاء موشحة وهي أجمل ملابسه ومظلته كذلك، ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب المواكب؛ إلا أن العساكر في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر، وينتظم الجند له في صفين من باب القصر إلى المصلى، فيركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقيها

إلى مكان يستريح فيه فترة، ثم يخرج محفوفاً بحاشيته كما في صلاة الجمع قاصداً المحراب والوزير والقاضي وراءه، فيصلي صلاة العيد، ويقرأ في الركعة الأولى ما هو مكتب في الستر على يمينه، وفي الثانية ما هو مكتوب في الستر الذي على يساره، فإذا انتهت الصلاة وسلم صعد المنبر لخطبة العيد، فإذا ما انتهى إلى ذروة المنبر جلس على تلك الطراحة الحريرية بحيث يراه الناس، ويقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وكبار الموظفين والأقارب ونقيب الأشراف الطالبين، ثم يشير الخليفة إلى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهي إلى الخليفة، وبعد تقبيل يده يقف إلى يمينه ويشير إلى قاضي القضاة فيصعد إلى سابع درجة مقدماً إلى الخليفة نص الخطبة الذي أعدها ديوان الإنشاء وسبق عرضها على الخليفة، وبعد مقدمات وإشارات يستر الخليفة باللواءين المركزين في جانبي المصلى، وينادي على الناس بالإنصات فيخطب الخليفة خطبة مناسبة للعيد يقرؤها من النص الذي قدم له.

فإذا فرغ من الخطبة ألقى كل من في يده شيء من اللواء خارج المنبر فيكشفون وينزلون القهقري أولاً بأول الأقرب فالأقرب فإذا أخل المنبر للخليفة هبط ودخل المكان الذي خرج منه، فيلبث قليلاً ثم يركب بالهيئة التي قدم بها إلى المصلى ويعود

في طريقه التي أتى منها، فإذا قرب من القصر تقدمه الوزير على العادة ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه، فيجلس في الديوان الكبير وقد مد فيه إلى فسقية بوسطه سماط فيه أنواع الكعك؛ فيأكل من يأكل، وينقل من ينقل بلا حرج ولا مانع، ثم يقوم من الديوان فيركب إلى قاعة الذهب وبها سرير الملك وبوسطها مائدة من فضة أقيم بجانبها سماط كبير، فيترجل من على السرير ويجلس على المائدة، ويستدعي الوزير فيجلس معه، ويجلس الأمراء على السماط، ولا يزال كذلك حتى يستنفد ما على السماط قريب صلاة الظهر، ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمد لهم سماطاً يأكلون منه وينصرفون.

وهنا تصدر الأوامر بإذاعة سجل عيد الفطر ونصه:

أما بعد فالحمد لله الذي رفع بأمير المؤمنين عماد الإيمان، وثبت قواعده، وأعز بخلافته معتقده، وأذل بمهابته معانده، وأظهر من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الأظلام، ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال: إن الدين عند الله الإسلام، وجعل المعتصم بحبله مفضلاً على من يفاخره ويباهيه، وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد نبيه الذي اصطفى له الدين وبعثه إلى الأقربين والأبعدين، وأيده في

الإرشاد حتى صار العاصي مطيعاً، ودخل الناس في التوحيد فرادى وجميعاً، وغدوا بعروته الوثقى متمسكين، وأنزل عليه "قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"، وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ إمام الأئمة وكاشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض. ومن الإخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض.

وعلى الأئمة من ذريتهما سادة البرية، والعادلين في القضية، والعاملين بالسيرة المرضية، وسلم وكرم وشرف وعظم، وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة. وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأداته، وجريه في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه، وما ينبئك به ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه، وذلك أنه دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح، وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح. توجهت عساكر أمير المؤمنين من مكانها إلى بابه، وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه. ثم أثنت إلى مصافها في الهيآت التي يقصر عنها تجريد الصفات. وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات، وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم، وتقلق مواضيها في اعتمادها شوقاً إلى الطلى والقمم، وقد امتلأت الأرض بازدحام

الرجل والخيل وثار العجاج. فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل.

وبرز أمير المؤمنين من قصوره. وظهر للأبصار على أنه محتجب بضيائه ونوره. وتوجه إلى المصلى في هدى جده وأبيه، والوقار الذي ارتفع فيه عن النظير والشبيه، ولما انتهى إليه قصد المحراب واستقبله، وأدى الصلاة على وضع رضية الله وتقبله، وأجرى أمرها على أفضل المعهود. ووفاها حقها من القراءة والتكبير والرجوع والسجود، وانتهى إلى المنبر فعلاً وكبر الله، وهلله على ما أولاه، وذكر الثواب على إخراج الفطرة وبشّر له. وأن المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظاً ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه. ثم عاد إلى قصوره الزاهرة مشمولاً بالوقاية. مكنوفاً بالكفاية. منتهياً في إرشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية، أعلمك أمير المؤمنين خير هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا في معرفته ويشكروا الله عليه. فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى.

وكانت مواكب العيدين تحاط بأنواع من المرح: فقط كان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها اقطاعات ومرتبات، وكسوات، يقومون بألعاب بهلوانية في الحفلات. فإذا ركب الخليفة

في العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر إلى الأرض. حبلاً عن يمين الباب وحبلاً عن شماله. فإذا عاد الخليفة من صلاة العيد ماراً بباب النصر، نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون في أيديهم الرايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه. ويأتون بحركات تذهل العقول.

ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم ينقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت إبط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر. ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء إلى الأرض. ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف.

الكعك

وعلى ذكر الكعك وعمله وتوزيعه أذكر أن الدولة الأخشيدية سبقت الدولة الفاطمية في العناية بكعك العيد وبشكل ظريف، فيؤثر عن أبي بكر مُحَمَّد بن على المادرائي وزير الدولة الأخشيدية، أنه عمل كعكاً حشاه بالدنانير الذهبية أطلقوا عليه وقتئذ اسم (أفطن له).

وعناية الفاطميين بالمائدة وعمل الكعك، جعل لمطبخهم وطباخيهم شهيرة، وقد بقيت من طباخيهم بقية عملت في القصور الأيوبية. ومنهم طباخة كانت تعمل كعكاً شهياً عرف بها (كعك حافظة).

وللشاعر المصري الجمال أبو الحسن الجزار المتوفى سنة ٦٧٩هـ ١٢٨٠م أبيات طريفة في طلب الكعك وحلويات العيد.

منها ما كتبه إلى الأمير جمال الدين بن يغمور:

أيهـذا الأمـيرُ قـد أشـكل المعـنى ومـــا زلـــت عارفـــاً بالمعـــانى

ظـــاهر البســـتندودِ لم أدر مـــاذا فيـــه حَمـــلا وَباطـــن الخُشْـــكنان

أتراني في العيد أجهل ذا المعنى كجهل الحلواء في رمضان

واستمرت مصر معنية بعمل الكعك وتوزيعه كصدقة على الفقراء حتى لا يحرموا منه، وتنص، الوقفيات على توزيعه في عيد الفطر على الفقراء واليتامى. ومنها وقفية الأميرة تتر الحجازية والتي ينص فيها على توزيع الكعك الناعم والخشن على موظفي مدرستها التي أنشأتها سنة ٧٤٨هـ ١٣٤٨م

وأصبح سكان مصر يتهادونه من وقتها إلى الآن ويتفاخرون بإجادته، ويقول مُحَّد بن السعودي الخياط وكان يسكن درب

الأتراك بجوار الأزهر أنه في سنة بضع وستين وسبعمائة جاءه في عيد الفطر من الجيران أطباق كعك على عادة أهل مصر ملأ بها زيراً كبيراً، لأن هذا الخط كان يسكن به الأكابر والأعيان.

ولرواج هذا النوع من الحلوى. اهتم به تجار الحلوى. وكانت أسواقه رائجة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكانت تروق رؤية الكعك بأنواعه في عيد الفطر لكثرة ما يعرض منه في حوانيتهم.

وكان للفن دخل في صناعته، فعملت له القوالب المنقوشة والمكتوبة ومنها مجموعة من متحف الفن الإسلامي مكتوب على بعضها: كل هنياً، كل واشكر. كل واشكر مولاك. بالشكر تدوم النعم.

ولم يقف الاهتمام بالعيد عند عمل الكعك وأصناف الحلوى، بل شمل السمك المملح. وكنت أظن مصر حديثة عهد به حتى رأيت أنها متعلقة به من قبل القرن الثالث عشر الميلادي وتجد سبط ابن الجوزي في القرن الثالث عشر الميلادي يقول: إنه أكل يوم عيد الفطر سمكاً مملحاً.

وكذلك انتقد ابن الحاج من علماء مصر في أول القرن الرابع

عشر الميلادي أهل مصر في أكلهم السمك المشقوق في عيد الفطر، كما انتقدهم في أكل الكعك عقب الصيام، لأن كليهما ضار عقب الصيام.

وفي دولتي المماليك كانت تقام حفلات استقبال الأمراء والأعيان بعد صلاة العيد في الميدان تحت القلعة وفي القصر الأبلق والحوش السلطاني بداخل القلعة، وتوزع الهدايا.

وكانت تلك الهدايا تعرض على السلطان قبل العيد في موكب تتقدمه الموسيقى.

ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي والمدافع تطلق في الأوقات الخمسة أيام العيد احتفاء وابتهاجاً به.

وعهدنا بالشعراء والأدباء يتقدمون بالتهاني بالعيد ما بين نظم ونثر ومن طريف ما وقفت عليه زجل لأمير الزجل الشيخ مُحَمَّد النجار في العيد ووداع رمضان.

العيـــد أتـــى والصـــوم روَّح ويقـــول لـــك الله يا صـــايم
تعـــيش لأمثالـــه وتفـــرح ويعـــيش لـــك الخـــير الـــدايم

دور

إصـــحى تكـــون فـــت قيامـــك في كـــل ليلـــة مـــن شـــهره

ولاّ أخيلــــــت بصـــــيامك   والـــــرب أغضــــبته بفطــــــره

دور

إصـــحى يكـــون روّح غضـــبان   منـــك وعنـــك غـــير راضـــي

وكنـــت فيـــه جيعـــان عطشـــان   خـــــالي مـــــن الآداب فاضــــي

دور

مـا قلـت لـك صـومك لـك صـون   والـــــرب مــــن كرمـــه يعينـــك

دا الأجـــر فيـــه مضـــمون مـــأمون   مـــــا دمــــت ماســــك في دينـــك

دور

وارجـــع وأقـــول لـــك وأعيـــد لـــك   ياللـــي بشـــــهر الصــــوم خليـــت

وبـــــس حراقـــــه بأكلـــــك   لا فـــــول ولا طرشــــــي خليـــــت

دور

يا ناس يكفينـــــــا تقصـــــــير   في كــــــل طاعـــــة وعبـــــادة

الوقـــــت دا كلــــــه تحســـــير   لنفســـــــنا فـــــــوق العـــــادة

دور

عملـــت لي صـــيامك موضـــة   وطلعـــــت في الكـــــذب البـــــايخ

وتـــــدب بطنـــــك في الأوضـــــة   وفي الســـــكك تعمـــــل دايــــــخ

دور

مشـــيت بســـبحة وعصـــاية   تلعــــــب بهــــا وتطوحهــــــا

وجبـــــت ســــاعة بدلايـــــة   في كـــــل ســــاعة تفتحهــــــا

دور

يا خســـارة أوقـــات الطاعـــات تمـــــر والعاصـــــي غفــــلان

يا خســـارتك يابـــو الحســـنات ياللـــي الإلـــه سمـــاك رمضـــان

دور

يا اللـــي الإلـــه عظَّـــم شـــانه بـــين الســـنة عُـــلاه في القـــدر

علـــى النـــبي فيـــه قرآنـــه قـــد أنزلـــه وفيـــه ليلـــة القـــدر

دور

يا مـــا أحســـنك يا اللـــي صـــمته وقمـــــت بفروضـــــه وســـــننه

كمـــــان وفي ليلـــــه قمتـــــه والـــــرب قـــــواك مـــــن ســـــننه

دور

إبكـــــي عليـــــه لمـــــا ودع دى غـــــــرش أيام معـــــــدودة

كانـــــت موادنـــــه بتلعلـــــع وكـــــان جوامعـــــه موقـــــودة

دور

كانـــت جميـــع النـــاس تســـهر مـــع بعضـــها ويحصـــل إينـــاس

حكمـــه مـــن المـــولى تظهـــر بالائـــتلاف مـــا بـــين النـــاس

دور

وكـــــل حاجـــــة في الإســـــلام بالاجتمـــــاع تنـــــبي وتشـــــير

أســـرار عجيبـــة في الأحكـــام يظهـــــر لهـــــا حكـــــم وتأثـــــير

دور

وقـــت القيـــام في جملـــة ناس تقـــوم صـــفوف بنيـــان مرصـــوص

والعيـــد لجملـــة ناس أجنـــاس يجمـــع وفيـــه إيـــلاف مخصـــوص

دور

يا ناس أهـــو العيـــد أقبـــل   قـــابلوه بقـــى بكحكـــه وخلقـــه

واللـــي يكـــون صـــومه يقبـــل   يشـــكر إلهـــه اللـــي خلقـــه

دور

يشـــكر إلهـــه اللـــي أعطـــاه   صـــحة ولـــه جـــاد بالعافيـــة

ولمثـــل هـــذا العيـــد أبقـــاه   ودي تهـــاني بـــه وافيـــة

الفهرس

مقدمة ٧
العناية بشهر رمضان ٩
رمضان مصر ١٧
الاحتفال بأول رمضان ١٨
غرة رمضان ٢٠
إحياء ليالي رمضان ٢١
سحور الخليفة ٢٢
صلاة الجمعة في رمضان ٢٢
سجل الجمعة الثانية ٢٥
سجل الجمعة الثالثة ٢٦
سجل الجمعة الرابعة ٢٧
آخر شهر رمضان ٢٩
رمضان في دولتيي المماليك ٣٠
الموكب التقليدي ٣٣
فرق الكشافة والموسيقى ٣٤
إنتاج المصانع الحربية ٣٤
برامج ليلة الرؤية ٣٤
حفلات سحر وتمثيل ٣٥

البر باليتامى والفقراء..٣٥
ندوات للوعظ والإرشاد ٣٥
مقدمات رمضان..٣٦
رمضان شهر الخيرات ٤٠
ليلة القدر...٤٣
التسحير...٤٦
فانوس السحور ٥٠
موائد رمضان...٦٠
رمضان في القرن التاسع عشر بمصر..........................٦٧
رمضان في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ٧٣
رمضان في تونس ٧٥
رمضان في استانبول – في نهاية القرن التاسع عشر................٧٦
رمضان في الأدب العربي ٧٨
التشهير بالمفطرين ٨٢
ختام رمضان ٨٤
صلاة العيد ٨٨
الكعك ٩٤